قراءة الخارجية البريطانية لدور الإسكندرية في ثورة ١٩١٩

د . أحمد عبد الدايم محمد حسين

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

قراءة الخارجية البريطانية لدور الإسكندرية في ثورة ١٩١٩

أ .د . أحمد عبد الدايم محمد حسين(*)

ملخص :

لم تكن مدينة الإسكندرية ببعيدة عن مشاركة القاهرة وبقية المدن المصرية فى ثورة ١٩١٩ ، فقد تفاعلت مع أحداثها ومع مجرياتها بقوة منقطعة النظير غير أن تخصيص زاوية مستقلة لأخبارها عبر وثائق الخارجية البريطانية للحديث عن فعالياتها وتطوراتها ، يشي بخصوصية مظاهراتها وتميزها ، والأمر المدهش فى القراءة البريطانية لمظاهرات تلك المدينة . أنها ظلت مشتعلة ومتدفقة ، ولم يتم السيطرة عليها حتى نهاية عام ١٩١٩ ، وربما كان تخصيص الخارجية البريطانية لعناوين مستقلة عنها داخل مراسلاتها بعد مظاهرات أكتوبر ١٩١٩ وما تلاها من أحداث يؤكد بأن المدينة كانت لها طبيعة خاصة فى التعامل خلال فترة الثورة .

(*)كلية الدراسات الأفريقية العليا-جامعة القاهرة

Abstract:

The City of Alexandria was not far from the participation of Cairo and the rest of the Egyptian Cities in the 1919 Revolution. It reacted quickly to its events and its course with unparalleled strength. However, allocating an independent angle to its news through British Foreign Office Documents to talk about its activities and developments indicates the specificity and distinctiveness of its demonstrations. The amazing thing about the British reading of the demonstrations in that city is that they remained burning and flowing, and they were not controlled until the end of 1919. Perhaps the British Foreign Office,s allocation of independent addresses in its correspondence after the October demonstrations of 1919 and the events that followed, confirms that the city had a special nature in Dealing during the revolution period. To crystallize the British vision of the Alexandria demonstrations in this revolution.

يتناول هذا البحث المشاركة الإيجابية لسكان مدينة الإسكندرية ونشاطهم خلال الثورة . وإذا كان فعل ثورة ١٩١٩ فعلاً مركزيًا فى بدايته ، حيث انطلق من القاهرة إلا أن انفعال الأقاليم به ومشاركة مختلف الطبقات والفئات فيه ليدلل على أن ما حدث هو أول ثورة شعبية ليست فى مصر وحدها ، بل فى العالم العربى وإفريقيا ككل . وأن الأقاليم المصرية نفسها صدرت فعلاً ثوريًا مركزيًا ، لا يقل عما حدث فى القاهرة ، وإن لم يتفوق عليها فى بعض الأحيان ، فقد شكلت مظاهرات الأقاليم دافعًا ثوريًا جديداً ظهرت آثاره فى كل موجة من موجات العمل الثورى ، ورغم أن حديثنا عن مظاهرات الإسكندرية خلال ثورة ١٩١٩ يعني أننا نتحدث عما يسمى بالتاريخ الجهوى ، أو تاريخ الأقاليم ، إلا أنه يدرك بأن المظاهرات فى هذا الإقليم قد حدثت ضمن سياق عام ، يخص مصر كلها . فما حدث فى القاهرة وبقية المدن المصرية ، كان له صداه فى الإسكندرية ، وأيضًا ما حدث فى الإسكندرية قد انعكس بطريقة ، أو بأخرى فى غيرها من المدن المصرية ، وهو جزء من التاريخ العالمى باعتبار ما حدث انما كان ضد قوة استعمارية أوروبية هى بريطانيا .

هذا ، وقد اعتمدت دراستنا على الأرشيف البريطانى بشكل رئيسى ، مدركًة تمامًا أنها تتحدث عن رواية بريطانية عن ثورة ١٩١٩ فى مدينة الإسكندرية ، وواعية ما بهذا الأرشيف من مادة جديدة لم تمس بعد ، وبأنها مادة معرفية غير مقطوعة الصلة بالمحيط الاستعمارى الذى أنتجها ، تلك الرواية التى قدمت لنا الثورة فى هذا الأقليم فى أبهى تجلياتها ، لكنها كانت معبرة عن بنية ثقافية كولونيالية للقائمين عليها . من هنا ، جاءت ورقتنا «قراءة الخارجية البريطانية لدورالإسكندرية في ثورة ١٩١٩» لترصد الدور الذى قامت به مدينة الإسكندرية خلال ثورة ١٩١٩ ، والأسباب التى جعلت مظاهراتها متدفقة حتى بداية سنة ١٩٢٠ ، ولما كان الأرشيف أبكمًا لا ينطق بشيء فى ذاته ، وأسئلة المؤرخ هى التى عليها أن تبني الحقائق ، فإن

الورقة تطرح بدورها سؤالاً مركزيًا مركبًا تسعى للإجابة عليه : كيف كانت تنظر الخارجية البريطانية لتظاهرات الإسكندرية خلال ثورة ١٩١٩ ولماذا استمرت متدفقة حتى سنة ١٩٢٠؟ ولماذا كانت لها خصوصية فى تقارير المسئولين البريطانيين خلال تلك الفترة؟ ومن ثم سنقوم بتقسيم الدراسة إلى ستة محاور رئيسية :

أولاً- الإسكندرية ومقدمات ثورة ١٩١٩ .

ثانيًا- قراءة الخارجية البريطانية لمشاركة الإسكندرية فى بداية الثورة .

ثالثًا- تقييد حركة الأمير السكندرى عمر طوسون وطرح مصادرة أرضه في أبوقير .

رابعًا- تطورات الثورة وانعكاسها على مدينة الإسكندرية .

خامسًا - مظاهرات أكتوبر ١٩١٩ فى المراسلات البريطانية .

سادسًا - قراءة الخارجية البريطانية لمظاهرات الإسكندرية خلال شهرى نوفمبر وديسمبر ١٩١٩ .

أولاً - الإسكندرية ومقدمات ثورة ١٩١٩ :

سميت الإسكندرية على اسم مؤسسها الإسكندر الأكبر المقدونى ، وتقع على شاطئ البحر المتوسط ، وعلى خط عرض ٣١ درجة شمالاً ، وتشغل شريطًا ساحليًا طوله ٧ كيلومترات[١] . وتعد المدينة واحدة من أهم المدن والثغور المصرية على مر العصور ، وقيل بإنها لم تفقد أهميتها إلا بعد دخول العثمانيين مصر سنة ١٥١٧[٢] . وأن رشيد ودمياط قد سحبتا النشاط التجارى الرئيسى منها . فى حين يرى البعض بأنها لم تفقد ثراءها التجارى مطلقًا ، وذلك بفضل نخبة تجارية من العائلات ظلت تمارس العمل التجارى طيلة العصر العثمانى ، الأمر الذى أتاح للمدينة مكانة ومنطلقا لمحمد كريم لمقاومة الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨[٣] ، هذا ، وقد عاد لها الدور الريادى التجارى مع حفر ترعة المحمودية فى عهد محمد على ، وبالتحديد سنة

١٨٢٠[٤]. حيث أسهمت ترعة المحمودية فى ربط المدينة بباقى القطر المصرى بسهولة ، وسدت حاجة سكانها من مياه الشرب العذبة ، وفى عهد سعيد تم مد الخط الحديدى بين الإسكندرية والقاهرة سنة ١٨٥٦ ، مما أدى إلى إنعاش الحركة التجارية ، حيث أصبحت المدينة مركزًا رئيسيًا لتجارة القطن ، ولكثرة عدد الجاليات الأجنبية بها بدت المدينة غربية الطابع ، وليست مشرقية كالقاهرة[٥] ، وفى عصر الخديو إسماعيل أعيد تخطيطها ، ففى بداية عهده كانت قليلة الشوارع الفسيحة ، كثيرة الأزقة والدروب الضيقة المتعرجة والمتربة ، فأمر الخديو إسماعيل محافظ المدينة بتسوية شوارعها والعمل على نظافتها ، فأضيفت لها شوارع جديدة ، أقيمت بها المبانى الحديثة ، وأقام ميدانًا جديدًا سماه ميدان القناصل ، واهتم بإنشاء المجلس البلدى ، وبنظافة الحى الإفرنجى ، واهتم أيضًا بحى الرمل وأقام فيه مباني خاصة به وبأسرته ، وأنشأ شركة مياه الإسكندرية لتعميم مياه الشرب على المدينة ، وأدخل بها الكهرباء واهتم بعمل الحدائق وبناء المستشفيات . وأقام بورصة مالية فى ميناء حى البصل للإشراف على تجارة الصادر ، وشجع إحدى شركات المساهمة الإنجليزية لتسيير قاطرات الترام بين حى الرمل والإسكندرية[٦] .

وفى عهد الاحتلال البريطانى الذى بدأ سنة ١٨٨٢ كانت الدولة المصرية فى قبضة قصر الدوبارة والمندوب السامى البريطانى ، يصرفها كيفما شاء ، وأيضًا كانت كل وزارة فى قبضة مستشارها ، وكان كل إقليم فى قبضة المفتش الإنجليزى ، فهو الذى يختار الموظفين ويرشحهم للترقية أو العزل ، وذلك من منصب المدير إلى العمدة إلى الغفير[٧] ، وبطبيعة الحال لم تكن الإسكندرية بدعًا عن بقية المدن المصرية ، فقد كانت المدينة ممسوكة بيد من حديد ، بعد أن تم تقسيمها إلى ستة أحياء إدارية ، ورغم أنها استعادت مكانتها العسكرية المميزة ، فأصبحت قاعدة للأسطول البريطانى فى البحر المتوسط ، ونقطة انطلاق لجيوشها خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، إلا أنها لعبت دورًا مهمًا فى مقاومة هذا الاحتلال منذ قدومه ، حيث خطب مصطفى كامل

على مسرح زيزينيا ، فكانت خطبه تلهب حماس جماهير الإسكندرية وتجعلهم يتقدون وطنية وحماسة ، وكانت محطة الإسكندرية تحتشد لمصطفى كامل بأكثر من ٨ آلاف شخص ، يحملون أعلامهم ويحيونه ، وبالتالى كانت مركزًا مهمًا من مراكز الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد[٨] . ومثلما تأثرت المدينة بجالياتها الأجنبية ، تأثرت أيضًا بالتيارات السياسية والفكرية الجديدة ، حيث أصبحت مركزًا للحركة النقابية الثورية الروسية ، وفيها صدرت مجلة مورياك سنة ١٩١٣ ، فأقامت المدينة صلات وثيقة مع حزب العمال الاشتراكى في روسيا تحت قيادة لينين ، حيث أقام بعض أنصار لينين مطعم سيفاستوبول في حى الجمرك ، الذي بات مركزًا لنقل المطبوعات الثورية الروسية ، فكان يتم به قراءة الكتب الممنوعة ، وتدور به مناقشة المسائل السياسية الساخنة[٩] .

وإذا كانت هناك أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية قد حركت المصريين للثورة على الاحتلال البريطاني عام ١٩١٩ ورفضه[١٠] ، فإن هناك أسبابًا مضافة حرضت مدينة الإسكندرية على الإمساك بتلابيب تلك الثورة وتأجيجها . فقد كانت المدينة مركزًا رئيسيًا للجاليات الأجنبية وسيطرتها ، ومقرًا صيفيًا للسلطان والحكومة المصرية ، فتكونت بها تنظيمات فدائية ، كتلك التى ركزت على قتل السلطان حسين عام ١٩١٥ لقبوله بمنصب السلطان من قبل الإنجليز ، حيث اختارت الإسكندرية مقراً للتنفيذ بإلقاء قنبلة عليه في ٩ يوليو ١٩١٥ ، لكنه نجا منها ، ولعل رصدنا لعدد حالات الجوعى والمرضى التي تم إدخالهم مستشفى الإسكندرية الحكومي ، يوجز الدوافع الاقتصادية والاجتماعية التى دفعت المدينة للمشاركة في الثورة . فقد ارتفع عدد الحالات من ٢٥ حالة عام ١٩١٣ إلى ١٩٢ حالة عام ١٩١٧ ، وكذا ارتفعت حالات التيفوس الوردي من ١٥٨ إلى ٢ ، ٨٤٤ خلال نفس الفترة . وبما أن عدد الجوعى كانوا أكثر عرضة للإصابة بالمرض من الآخرين ، فإن بيانات الإسكندرية أشارت إلى انتشار الجوع في فترة ما بعد الحرب من جراء زيادة سعر القمح . ناهيك

عن زيادة أعداد مرضى التيفوس وغيره من الأمراض ، بما تسبب في ارتفاع عدد الحالات الأكثر عرضة للوفاة(١١) .

وأحسب أن كل تلك الأسباب قد دفعت الإسكندرية لتكون فى مقدمة الحدث الثورى ، وفى هذا السياق تشرح لنا إحدى مراسلات الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩١٨ بأن محمد سعيد باشا والأمير عمر طوسون(١٢) ، وعدداً كبيراً من أعيان الإسكندرية قد اجتمعوا مع أعيان القاهرة لبحث موضوع الحماية البريطانية على مصر ، وانتهوا الى وجوب رفع مطلب الاستقلال على مؤتمر الصلح فى باريس .

واستندوا فى هذا على أفكار الرئيس الأمريكى ويلسون فى حق تقرير المصير ، وعلى أن الحماية البريطانية قد أعلنت بشكل منفرد ، ولما كان الأمير عمر طوسون قد ولد بالإسكندرية ومقيماً بها ، فقد رجع إليها بعد إلحاح من المندوب السامى البريطانى ريجنالد ونجت على رئيس الحكومة حسين رشدى وعدلى يكن . فطالبوه بالرجوع للإسكندرية والتخلى عن الاجتماع الذى دعا له الأعيان(١٣) . حيث كان للأمير السكندرى دور مهم فى قيام هذه الثورة ، ومذكرات الرجل تشير بأنه صاحب فكرة تأليف وفد يطالب بحقوق مصر فى مؤتمر الصلح على إثر تصريح الرئيس الأمريكى ويلسون فى ٨ يناير ١٩١٨ بمبادئه الأربعة عشرة ، وأهمها حق تقرير المصير(١٤) . ومن ثم كانت المدينة حاضرة فى المشهد الثورى من بدايته الأولى فى نوفمبر ١٩١٨ ، وما يؤكد على ذلك ، ما ذكره عبدالرحمن الرافعى فى كتابه عن ثورة ١٩١٩ من أن الأمير عمر طوسون كان الباعث الرئيسى لفكرة إرسال وفد لمؤتمر الصلح فى باريس ، وأنه قدم إلى القاهرة والتقى سعد زغلول فى ليلة ٩ أكتوبر ١٩١٨ فى حفلة أقامها رشدى باشا ، احتفالاً بعيد جلوس السلطان فؤاد على العرش ، ففاتحه بالفكرة ، فأقرها سعد ووافق عليها ، وأن طوسون أعاد طرحها عليه يوم ٢٣ أكتوبر فى حفل شاى أقامه ريجنالد وينجت تكريماً للسلطان فؤاد برمل الإسكندرية ، وأنه التقاه ثانية فى ١١ نوفمبر وتناولا نفس الفكرة . ولعل ما ختم به الرافعى تلك المسألة ،

ظهر من الملابسات بأن صاحب فكرة تأليف الوفد هو عمر طوسون ، وتلقاها عنه سعد وانفرد بها لكى لا تكون الرئاسة للأمير ، بسبب الجفوة الموجودة بين الإنجليز والأمير[١٥] ، يقطع بأن أعيان الإسكندرية بقيادة الأمير عمر طوسون كانوا هم المؤسسين لفكرة الوفد ، وبالتالى كان من الطبيعى أن تشارك المدينة الفعل الثورى من بدايته .

والمدهش فى أمر الإسكندرية قبيل قيام الثورة ، أنها مثلما برزت فى المشهد الافتتاحى للثورة فى نوفمبر ١٩١٨ ، برزت أيضًا فى مشهد الرفض لهذا التفاعل الثورى ، حيث انزعجت الغرفة التجارية البريطانية هناك من تأجيج المشاعر الوطنية . فاجتمع أعضاء الغرفة وبعثوا للمندوب السامى البريطانى فى ديسمبر ١٩١٨ ، آملين فى إرسال آرائهم لبريطانيا ، طالبين إياه إصدار تصريح يوضح القرار البريطاني باستخدام سلطته فى مصر ، غير أن الردود جاءت مخيبة لآمالهم ، حيث أجابهم مسئول الخارجية البريطانية «بأن قيادات الغرفة جون سميث وروبنسون يتنافسون فيما بينهم فى جو الإسكندرية المريح لما تحتكره لهم الحماية البريطانية» ، رافضًا إرسال الخطاب من أساسه[١٦] ، وثمة نتيجة يمكن أن نخلص إليها ، وهي أن تناقض المشهد الذى حدث فى الإسكندرية فى أواخر عام ١٩١٨ ، من تحريك للفعل الثورى من جانب الأعيان ، ورفض لهذا الحراك من قبل المستفيدين البريطانيين ، يدلل على أن الحضور الثورى للمدينة سيكون مكثفًا ، وأن ردود الفعل البريطانية ستكون عنيفة وقاسية .

ثانيًا- قراءة الخارجية البريطانية لمشاركة الإسكندرية فى بداية الثورة

حينما تم القبض على سعد زغلول وزملائه يوم ٨ مارس ١٩١٩ وتقرر إرسالهم إلى مالطة ، خرجت المظاهرات فى القاهرة يوم ٩ مارس ١٩١٩ ترفض هذا الاعتقال وتطالب بالاستقلال التام أو الموت الزؤام لبريطانيا ، واقتصرت المظاهرات على القاهرة

فقط دون الأقاليم حتى يوم ١٢ مارس ١٩١٩ ، ففى هذا اليوم بدأ الحراك الثورى فى الأقاليم من طنطا ، حيث خرجت مظاهرات الطلاب تجوب الشوارع هناك ، فتحركت القوات البريطانية لمساعدة البوليس فى تلك الناحية ، وتعاملت القوات البريطانية مع ثورة الأقاليم بقسوة ، ففقد بعض الناس حياتهم فى طنطا بعدها انتقلت الثورة فى ١٥ مارس إلى دمياط والمنصورة ، وقطعت معظم خطوط التلغراف فى مصر السفلى . وانتشرت مظاهرات الفلاحين فى كثير من القرى المصرية ، مما شكل صعوبة كبيرة للإدارة البريطانية ، وتمددت المظاهرات إلى قليوب والواسطى ، وبشكل أكبر إلى كل نواحى مصر العليا والصعيد ، بشكل سلمي لم يتعرض خلالها أى موظف بريطانى من العاملين فى السكة الحديد للقتل ، هذا ، وقد رفض المحامون الذهاب للمحاكم المحلية ، واقتصر الأمر الصادر لغالبية القوات فى ١٧ مارس على المحافظة على وصول إمدادات الطعام للقاهرة . وتوسعت الاضطرابات أكثر فأكثر ، فحدث هجوم على السكك الحديدية والأملاك الخاصة ، لكن القوات البريطانية حاولت المحافظة على خط حديد القاهرة الإسكندرية ، وخط حديد القاهرة بورسعيد ، وواجه خط حديد القاهرة الصعيد مصاعب جمة ، ومع ذلك تحدثت التقارير عن انتشار المظاهرات وقطع خطوط السكك الحديدية وانقطاع الاتصالات ، غير خطوط اللاسلكى والطائرات بين القاهرة والأقاليم . وامتدت الثورة فى كل أنحاء الدلتا ، وازدادت خطورة فى الصعيد ، وفى القاهرة نجحت قيادات الأزهر فى إشراك الأقباط والأقليات فى التحركات غير أن مقتل ستة جنود فى محطة سكة حديد بنى سويف فى القطار القادم من الجنوب ، غير طريقة المواجهة[١٧] .

وما يعنينا هنا هي الأحداث التي دارت في الإسكندرية ، حيث تأخرت المدينة فى المشاركة لانشغالها بقطع الخطوط الحديدية عنها ، وبدأ المشهد الثورى بها حين اتفق طلبة المدارس والمعاهد الدينية هناك على الإضراب ، ونفذوا عزمهم يوم الأربعاء

١٢ مارس ١٩١٩ ، فكونوا موكبًا تحرك من ميدان مسجد أبي العباس المرسى ، الذى اتخذه المتظاهرون قاعدة للمظاهرات ، وساروا هاتفين للحرية والاستقلال ، متوجهين نحو دار المحافظة القديمة بشارع رأس التين ، فأدركهم الأميرالاى جارفر بك ، حكمدار الإسكندرية ، والسيد انجرام ، مأمور الضبط ، بصحبة بعض القوات ، فأمر مأمور قسم الجمرك بتفريق التظاهرة ، وقبضوا على ٥٠ شخصًا من المتظاهرين تم احتجازهم بأقسام المدينة ، وتجددت المظاهرات يوم ١٤ مارس ، ثم يومى السبت والأحد ، من قبل الطلاب والتجار والصناع وعمال السكة الحديدية والفنارات والأحواض وورش الحكومة وغيرهم ، وطافت بأهم شوارع المدينة وانتهت بسلام ، وفى ١٧ مارس انتشرت القوات الإنجليزية فى بعض الشوارع ، وعلى مدخل الطرق والحارات فى الأحياء الوطنية غير أن ضخامة المظاهرات التى جرت فى هذا اليوم من ميدان أبي العباس إلى الأنفوشى ، جعل الجنود الإنجليز يطلقون النار على المتظاهرين ، فقتلوا ١٦ شخصًا وجرحوا ١٤ آخرين . وكانت قاعدة التظاهرات فى المدينة أن تبدأ عقب صلاة كل جمعة ، وتخترق شوارع المدينة لتجمع أكبر عدد من المنضمين لها . وبالمقابل كانت السلطة العسكرية البريطانية تعتقل عدداً كبيراً من الطلاب والعمال بحجة اشتراكهم فى التظاهرات[١٨] .

وتحدثت الوثائق البريطانية بأنه فى يوم ١٦ مارس ١٩١٩ انقطعت المواصلات البديلة عن الإسكندرية ، وأن المدينة شاركت فى أحداث الثورة بقوة منذ يوم ١٧ مارس ، حينما حدث شغب فى حى الميناء ، فانضم موظفو الشركة الخديوية بجانب الطلاب ، فاضطر الجنود لإطلاق النار عليهم ، فقتلوا منهم ١٤ وجرحوا ٢٠ وأُرسلت تعزيزات عسكرية من الإسكندرية لرشيد لمواجهة مظاهرات البحيرة ، وأرسلت أيضًا جنوداً لمقاومة ثورة البدو فى غرب البحيرة . وشاركت الإسكندرية أيضًا فى تقديم العرائض ، ومن أهمها عريضة المحامين ، حيث بلغ عدد الموقعين على العريضة ١١٠

من جملة ٦٠٠ محام ، بينهم عدد كبير من محامى الإسكندرية ، وتشير الوثائق بأنه حينما استؤنفت المواصلات يوم ٢٠ مارس بين القاهرة والإسكندرية وبورسعيد على نطاق ضيق ، أرسل اللنبى فى ٢٥ مارس أول تقرير له يشير فيه بأن الحياة فى الإسكندرية هادئة منذ عدة أيام ، وأضافت الوثائق بأنه فى يوم ٢٩ مارس ١٩١٩ استأنف طلاب مدرسة رأس التين دراستهم ، وحدث اعتراض على سلوك الجنود فى مواجهة إضرابات عمال الترام[١٩] . وعلى هذا كانت الإسكندرية تسير على وتيرة القاهرة ، فحينما تتأجج الأحداث فى الثانية تصل لذروتها فى الأولى .

وحينما تجددت المظاهرات فى الإسكندرية فى أبريل ١٩١٩ ، كانت الأمور هادئة لدى السلطات ، وخير مثال لذلك ما أشار له الجنرال اللنبى لكيرزون فى ١ أبريل ١٩١٩ بأن الهدوء يعم الإسكندرية كالقاهرة تماماً[٢٠] . لكن حين وقع صدام بباب عمر باشا ، وآخر فى كرموز ، قتل على أثره ٢٠ مواطناً[٢١] . وإذا كان الهدوء قد حل فى القاهرة ، من واقع تصريحات اللنبى فى ٦ إبريل حول إطلاق سراح سعد زغلول وزملائه ، لكن الأحداث اشتعلت فى الإسكندرية . فأرسل الجنرال اللنبى لكيرزون فى ١١ أبريل ١٩١٩ رسالة حول أحداث الشغب التى حدثت فى الإسكندرية ، فقد ذكر بأن وفداً من المحامين ذهب لمقابلة القائد العام للقوات البريطانية نتيجة ارتفاع عدد الضحايا . وفى ٢٤ أبريل أشار فى رسالة أخرى بأن الموقف فى الإسكندرية هادئ مع وجود شائعات حول قرب حدوث مظاهرات هناك ، من واقع وجود خلافات بين إيطاليا وبريطانيا حول الفيوم ، وخلاصة المراسلات البريطانية فى شهر مايو ١٩١٩ بأنه لم يحل الهدوء فى الإسكندرية إلا بحلول شهر يونيو ، بحكم أنه كان موافقاً لشهر رمضان[٢٢] .

واعتقد أن المدينة فى شهر يوليو ١٩١٩ كانت على موعد مع معركة فكرية انتصرت من خلال شيوخها للأفكار الثورية ، فحينما بلغت الثورة ذروتها بحثت

بريطانيا عن معركة ثقافية حول البلشفية وخطورتها على مسلمى مصر ، لتستعيد بها الشارع المصرى للهدوء والسكينة مرة أخرى ، وفى هذا الإطار تقول رسالة السير اللنبي إلى إيرل كرزون فى ٣١ يوليو ١٩١٩ بأن الرجل قد أرسل للخارجية البريطانية ٢٠٠ نسخة طبق الأصل من الفتوى التى أصدرها مفتى الديار المصرية ، الشيخ محمد بخيت ، و٢٠٠ نسخة مترجمة منها باللغة الإنجليزية ، تدين البلشفية بأنها عبارة عن هرطقة وخطر على الإسلام والمسلمين .بل إن الخارجية البريطانية استغلتها فى تهدئة مستعمراتها الإسلامية الأخرى ، فأرسلت عدداً منها إلى نائب الملك بالهند ، وإلى المقيم السياسي في عدن والمفوض المدني في بغداد والمندوب السامى في القسطنطينية[٢٣] ، وقد صدرت هذه الفتوى فى ٢ يوليو ١٩١٩ رداً على سؤال طرحه سائل يدعى حسن محمد للشيخ محمد بخيت كالآتى : ما هو حكم الشريعة في أعمال العنف التى تنتشر فى مصر وتؤذى الناس . فأجابه المفتى بأن هذه طريقة قديمة هدفها نشر الفوضى والفساد وإنكار الأديان والتعدي على ممتلكات الآخرين واستحلال الزنا والحرمات وهدم الحياة الأسرية ، وأنها طريقة قديمة نشرها منافق فارسي يدعى زرادشت وتبناها قمبيز ، وساعده فيها تلميذه مزدك فى بلاد فارس ، فاستباحوا بها النساء والأملاك ، إلى أن أطيح بقمبيز بسبب انحيازه لمزدك ، واستغلت الجماهير هذه الفرصة ووقفت مع مزدك وأتباعه في انتهاك الأملاك ، إلى أن حدث وقام النبلاء وقتلوا العديد من أتباع مزدك ، وأجلسوا كسرى أنوشيروان على العرش ، فأمر شعبه بالتخلي عن آراء زرادشت ومزدك ، وأنه يكل عقائدهم الزائفة وقتل العديد من أتباعهم . وأن الإسلام يرفض تلك العقائد الزائفة ، ويفرض نصوصًا قاطعة فى مسألة الميراث ، وفى الحفاظ على الأعراض ، وخير مثال لذلك خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع بحرمة الدماء والأعراض ، وأنها كحرمة يوم عرفات ، وأن الإسلام بعيد كل البعد عن البلشفية التى تدمر الدين والشرائع الإلهية ، فلا يجوز فى الإسلام التعدى على ممتلكات الآخرين والغدر والاغتصاب ، وأنه بريء من كل مما يتسبب في

انتشار الفوضى بين الناس ويهدد العالم كله ويحرض الطبقات الدنيا على كل نظام مبني على العقل والأخلاق والفضيلة ، وأنه وجب على كل مسلم حقيقي أن يتجنب مثل هؤلاء الأشخاص المؤمنين بتلك العقيدة الزائفة ، لأنهم يتشبثون بعقيدة عبدة النار[٢٤] . أعتقد أن هذه الفتوى قد استغلت من قبل السلطات البريطانية استغلالاً جيداً ، لإبعاد النقابات العمالية عن الإضرابات ، في محاولة لخلق كراهية بين الشيوعيين الأجانب والمصريين .

ومع ذلك ، لم تنعم المدينة تماماً بالهدوء ، حيث أضرب عمال الغاز والحلاقين عن العمل ، مطالبين بزيادة الأجور بنسبة ٤٠٪ . وفى ٤ أغسطس أضرب عمال الشحن والتفريغ فى ميناء الإسكندرية ، ثم أضرب عمال الترام يوم ١٠ أغسطس ، فتبعهم عمال السجائر وعمال شركة بونداستورز وعمال مصنع السفن النيلية والتجارية وعمال شركة النور[٢٥] . ولهذا كانت مدينة الإسكندرية جزءاً من خطة عامة للسيطرة على الثورة المصرية بحلول شهر أغسطس ١٩١٩ ، وخطاب مكتب البحرية إلى وزارة الخارجية البريطانية فى ٦ أغسطس ١٩١٩ ، والذى تطلب فيه معلومات حول الحالة فى مصر فى الفترة من ١١-١٨ يوليو ١٩١٩[٢٦] ، يلمح لمعلومات مخصوصة حول الإسكندرية ، نظراً لأهميتها البحرية ، وهو يتكامل مع ما أشار له ملحق الرسالة السابقة من تدفق الأسلحة على المدن المصرية ، وأن وجود البنادق بهذه الكثرة فى يد الثوار كان يتم عبر قناة السويس ، فى المنطقة بين بحيرة التمساح والبحيرات المرة ، وأنها بنادق إنجليزية وألمانية وتركية ، ينقلها البدو من فلسطين[٢٧] ، وأن أخبار الوفد المصرى وما يروج من شائعات حول وجود متعاطفين دوليين مترددة فى صحافة الإسكندرية .

ورسالة السير جورج جراهام القنصل البريطانى فى باريس إلى الخارجية البريطانية فى ١١ أغسطس ١٩١٩بأن هناك تحريضاً فرنسياً للوفد المصرى فى

باريس[٢٨] ، ظهر صداه فى صحافة المدينة المحلية . وملحق الوثيقة السابق ، والذى يشير بأن أحد المسئولين الفرنسيين قد قدم اقتراحًا مفاده خدمة الدعاية المصرية ، وأن هناك أخطاء فى معاهدة الصلح وتداعياتها ، وأنه حفاظًا على المصالح الفرنسية لايمكن أن تبقى قضية مصر حبرًا على ورق ، وأن هناك ضرورة للدفاع عن المصالح الفرنسية حتى لا يتم حظر التدريس بالفرنسية وإلغاء الامتيازات من فرنسا ، كانت أصداؤه مسربة لصحافة الإسكندرية . بل إن الملحق ذاته يشير بأن الحكومة الفرنسية باتت مشغولة رسميًا بالاعتبارات المشروعة للشعب المصري ، وبأنه جاء إلى باريس ليدافع عن روح العدالة في مؤتمر الصلح ، وأن مسئوليها عرضوا على القائمين على الصحافة الفرنسية وجوب أن يطرحوا سؤالاً على حلفائهم الإنجليز حول الوفاء بالوعود التي قطعوها لمصر بالاستقلال في المستقبل ، وذلك لإعادة التوازن الذي يتعرض للخطر ، وأنه يجب عليهم استمرار الاتصالات مع الوفد المصري ومساعدته عبر عشرات الصحف الرئيسية في باريس من مختلف الاتجاهات السياسية ، وأنه حدث اتفاق بين سعد زغلول واللجنة الفرنسية الشرقية هدفه الحفاظ على مصلحة فرنسا فى مصر[٢٩] . وكل ذلك وغيره منشور بشكل رسمى وغير رسمى فى صحافة المدينة .

ونفس الأمر ينطبق على الولايات المتحدة الأمريكية وما تم ترويجه فى المدينة حول تعاطفها مع القضية المصرية ، فرسالة ليندسي ، السفير البريطانى فى واشنطن ، إلى إيرل كرزون فى ١٩ أغسطس ١٩١٩ تشير بأن ما قام به أحد نواب مجلس الشيوخ ، السيد فولك الحاكم السابق لولاية ميسورى في خطاب ألقاه في لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس يوم ١٨ أغسطس بالهجوم على التحركات البريطانية في مصر زاعمًا أن هناك فظائع ارتكبها الجنود البريطانيون ، وأن مصر في حالة تمرد ولايسيطر عليها سوى القوات المسلحة ، نشرت الحركة الوطنية المصرية أخبارها فى القاهرة والإسكندرية . وما تقوله الوثيقة من أن النائب فولك كان رافضًا للحكم

البريطانى لمصر معتبره سيئًا ، ومعتمدًا فى هذا على اللجنة المصرية المعينة من قبل الجمعية التشريعية المصرية ، يدلل على أن هذا النائب قد أصبح لسان الحركة الوطنية المصرية فى أمريكا ، بل إن المدقق فى سيرة هذا الرجل سيجده قد تم توكيله رسميًا من قبل الوفد المصرى للدفاع عن القضية المصرية ومحاولة التأثير فى قرار اعتراف الرئيس الأمريكى ويلسون بالحماية البريطانية على مصر ، وما تقوله الوثيقة من أن قناعة الإدارة الأمريكية بوجود صوت مصر مسموعًا فى عصبة الأمم ، وأنها جاءت بسبب الأخطاء الموجودة فى خطاب فولك ، وأنه اعتمد على لغة الصحافة لخلق شكوك ضد عصبة الأمم ، ذاكرًا التحركات الأيرلندية فى خدمة القضية المصرية نكاية فى بريطانيا ، ونقل مقرهم إلى واشنطن للتحريض ، وأنهم ينفقون الكثير من المال للدعاية الصحفية ، موجهين هجومهم ضد التصديق على معاهدة الصلح ، وبأن هناك ارتباطًا بينهم وبين المصريين والهنود والفرنسيين[٣٠] ، يدلل على أن التعاطف الذى تتحدث عنه صحافة الإسكندرية له أرضية في الواقع .

ورسالة اللنبى إلى اللورد كيرزون فى ٩ أغسطس ١٩١٩ تقول بأن حالة البلد أصبحت جيدة ، مع وجود دعايات متطرفة في البلاد خاصة في صعيد مصر ، هدفها الحفاظ على شعور العداء لكل من الاحتلال البريطاني والوزارة الموجودة ، مشيرًا إلى زيادة في الجرائم في صعيد مصر وفي طنطا والزقازيق . لتقويض شعور الفلاحين بإمكانية الاستفادة من ثراء بلدهم ، وأن شائعات تم ترويجها بأن قوى الوفاق سوف تتشاجر فيما بينها ، وأنه بإمكان المصريين استغلال تلك الحالة ، وأنه تلقى تقارير غير مرضية من مصر السفلى خلال الأسبوعين الماضيين ، مفادها شائعات متداولة بأن السّلطان كان على وشك التنازل عن العرش ، وأن الابن الأكبر للخديوى السابق ، الأمير عبدالمنعم ، سيخلفه ، وأن هذه الشائعات حصلت على قدر كبير من المصداقية ، كل ذلك يقول بأن مدينة الإسكندرية كانت جزءًا من هذا الحراك ،

وتقريره عن الصحافة ، بأنه منذ إلغاء الرقابة تم نشر العديد من الأخبار غير الصحيحة حول العرش وبريطانيا ، وبطبيعة الحال كانت الإسكندرية مركزًا صيفيًا للحكومة والملك ، وبالتالى كان يسودها الهدوء والاستقرار وتلك الشائعات أيضًا . وأن ملامح هدوئها ظهرت فى حفل الاستقبال الذى أقامه الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود في المدينة ، ودعا إليه المسئولين المدنيين والعسكريين في المنطقة ، ومختلف فئات سكانها من المبرزين ، وكان من ملامح الهدوء أيضًا مجيء العديد من الأشخاص من مناطق بعيدة فى البلاد إليها ، وظهر أيضًا فى حفل العشاء الكبير الذى أقامه السلطان في قصر رأس التين ، وذلك قبل أن يغادر المحمل القاهرة إلى مكة في١٥ أغسطس ، وتم الاتفاق بأن رئيس مجلس الوزراء هو الذى سيكون فى مراسم المغادرة الرسمية للمحمل ، ووجود مخاوف حول محاولات لاغتياله فى تلك المناسبة[٣١] . وعلى هذا كانت الإسكندرية مركزًا مهمًا من مراكز الثورة المصرية عام ١٩١٩ . بل إن حراكها لم ينقطع أبدًا طيلة ذلك العام ، بل امتد حتى إعلان الاستقلال سنة ١٩٢٢ .

ثالثًا- تقييد حركة الأمير السكندرى عمر طوسون وطرح مصادرة أرضه في أبوقير

من المعروف أن الأمير عمر طوسون حفيد محمد على قد ولد فى الإسكندرية ، وكان يعيش فى قصره بمنطقة باكوس حى شرق الإسكندرية ، وأحيانًا كان يتركها لفترات قليلة ويعيش فى القاهرة[٣٢] . وكما ذكرنا في بداية البحث فإن الأمير عمر طوسون قد تقابل مع سعد زغلول فى القاهرة وعرض عليه فكرة إرسال وفد لمؤتمر الصلح ، ثم التقاه مرة أخرى فى الإسكندرية فى مقر دار الحماية البريطانية بباكوس رمل الإسكندرية فى ٢٣ أكتوبر ١٩١٨ وكرر عليه ذات الفكرة ، وتحادث معه مرة ثالثة فى محطة سيدى جابر[٣٣] . ويبدو أن مشاركة الأمير السكندرى فى المشهد الافتتاحى للثورة ، بطرحه فكرة الوفد على سعد زغلول ، وتحركاته مع أعيانها أمثال

محمد عبانى باشا ، وأحمد يحيى باشا ، ومنصور يوسف باشا ، والشيخ محمد سعيد باشا ، ومحمود الديب باشا ، وعبدالله الغريانى باشا ، قد جعل الادارة البريطانية تخطط لخلق مشكلات له فى مقر إقامته فى الإسكندرية . ورسالة اللنبى إلى اللورد كيرزون فى ٢ أغسطس ١٩١٩ ، بأن الحكومة البريطانية قد قررت شراء الأرض التي تشغلها مدرسة أبي قير للطيران ، يشى بأن الرجل قد أصبح مستهدفًا ، وأن أرض المدرسة التى هى أرضه ، ستكون هى البوابة الرئيسية للتنكيل به ومضايقته ، ومع أن الوثيقة تقول بأن سلاح الجو البريطانى لم ينظر فى ضرورة احتلال دائم لأرض الأمير إلا أن المندوب السامى قد أوصى بوقف قرار شراء الأرض وبإجراء مثل هذا الترتيب على النحو المقترح في الفقرة ١٥ من مذكرته السابقة (٣٤) ، وملحق الرسالة السابقة ، وهو عبارة عن رسالة من هايتر إلى اللنبى ، يبين لنا خلفية موضوع أرض مدرسة أبي قير للطيران ، فيشير بأن ملكية الأرض تعود للأمير عمر طوسون ، وأنه سبق أن وافق على استفادة السلطات العسكرية البريطانية منها طوال مدة الحرب العالمية الأولى ، مطالبًا بإيجار لـ ٢١ فدانًا . وأن هذا المطلب كان مفرطًا فى نظر تلك السلطة حينها ، فعرضت عليه مبلغًا أصغر ، لم يقبله الأمير ، وبالتالي لم يتم دفع أي إيجار ، وعندما تم الاستيلاء على الأرض فى ٢١ مايو ١٩١٦ بنية الاحتفاظ بها مدة الحرب فقط ، ثم تطورت المسألة بالحاجة إلى إقامة عدد من المباني ذات الطبيعة الدائمة أو شبه الدائمة بمبلغ لايقل عن ١٥٠ ألف جنيه أنفقتها السلطة على تلك المبانى ، قدم اقتراحًا بأنه سيكون من المستحسن شراء الأرض على الفور . غير أن الأمير رفض بيعها بأي ثمن ، فاقتراح الإدارة البريطانية الحصول عليها بالمصادرة من قبل الحكومة المصرية أو من قبل السلطات العسكرية بحجة أهميتها الاستراتيجية فى الدفاع عن مصر وإعطائه التعويض المناسب لكن حدث خلاف حول الإيجار السابق ومقدار التعويض ، وانتهى الأمر إلى ضرورة إلزام الحكومة المصرية بمصادرتها ، بموجب مرسوم نزع الملكية . وصدر إعلان من قبل القائد العام ، بطلب الاستيلاء على الأرض

لأغراض عسكرية مقابل تعويض قدره٨,٥٠٠جنيه ، وزاد لـ ٣٣,٠٠٠ جنيه لأهمية الأرض من الناحية الزراعية والسكنية ، ولكونها أصبحت ضاحية للإسكندرية . وفى هذا الإطار لم يتم الاستماع لاحتجاجات الأمير عمر طوسون على الاستحواذ الدائم على أرضه ، مستهجنًا هذا الإجراء التعسفي ، لكن تم إفهامه بأن هذا الترتيب تم وضعه من قبل المسؤول العام عن القيادة بالإسكندرية[٣٥] .

وتشير رسالة وزارة الطيران إلى وزارة الخارجية فى ٢٧ سبتمبر ١٩١٩ إلى قرار المجلس الجوي بأنه قد تم إنفاق مبلغ كبير من المال على المباني التي أقيمت على أرض الأمير طوسون ، وأن قيمة أرض الأمير قد جاءت من زيادة قيمة مصر الاستراتيجية كمركز للطيران ، وبأن الأمر يستوجب الحفاظ على تلك المبانى ، سواء بالبقاء فى الأرض نفسها أم بالتحول إلى مكان اَخر ، لكن مع استمرار الحفاظ على جزء من تلك الأرض [٣٦] . ورسالة كرزون لشيتهام فى ١٣ أكتوبر ١٩١٩ تشير لموافقة وزارة الطيران على الاستمرار في استئجار الأرض التي تشغلها مدرسة أبي قير للطيران كإجراء مؤقت ، طالبة معرفة ما إذا كان الأمير عمر طوسون مستعداً لمنح وزارة الطيران عقد إيجار طويل مع خيار التجديد بسعر معقول[٣٧] ، لكن بمتابعة المسألة لنهايتها نجد أن خطاب اللنبى لكيرزون فى ٢٥ نوفمبر ١٩١٩ ، قد أوصى بعدم مصادرة أرض الأمير عمر طوسون فى أبي قير فى تلك الظروف السيئة ، يقصد ظروف مظاهرات الإسكندرية ، وأنه يمكن استئجارها لمدة طويلة طالما كان ذلك مطلوباً[٣٨] .

ورسالة وزارة الطيران لوزارة الخارجية فى ١٢ ديسمبر ١٩١٩ ، بأن المجلس الجوى كان مستعداً للتعامل مع أرض مدرسة الطيران بمبدأ الإيجار ، وأنهم يرون أن منح الإيجار الطويل مع خيار التجديد ، سيبطل الحاجة لنزع الملكية ، وأنهم يقترحون على قائد القوات الجوية الملكية فى مصر ، التوصل إلى تسوية طبقًا لتلك الخطوط[٣٩] ، تقطع بأن تأخير موضوع البت في مسألة أرض الأمير عمر طوسون كان متعمداً . واَخر

وثيقة رصدتها الخارجية البريطانية سنة ١٩١٩ حول هذا الموضوع هى رسالة وزارة الطيران لوزارة الخارجية فى ١٦ ديسمبر ١٩١٩ ، بأنهم يوافقون على سياق العمل الذي تبناه المجلس الجوى(٤٠) . وثمة نتيجة مهمة يمكن استخلاصها مما سبق هو أن تأجيل حل مشكلة أرض الأمير قد جعلته لا يشارك في كل فعاليات الإسكندرية السابقة ، وأن أول صوت يرتفع له كان في يناير ١٩٢٠ ، ولعل نداءاته لأبناء الإسكندرية الشهيرة ومطالبته لهم بالتزام الهدوء والسكينة وعدم تعديهم على الجاليات الأجنبية الموجودة هناك عامى ١٩٢٠-١٩٢١ ، واستجابة الأهالى له(٤١) ، يدلل على مكانة الرجل في المجتمع السكندرى بصفة عامة . فاستمرار تأجيج الأوضاع فى الإسكندرية خلال تلك الفترة جعلته يتدخل أحيانًا لدى الأهالى عندما يتعلق الأمر بالجاليات الأجنبية فقط .

رابعًا- تطورات الثورة وانعكاسها على مدينة الإسكندرية

استعراض ايرل كرزون الحالة فى مصر في مجلس اللوردات منذ استقالة رئيس الوزراء حسين رشدى باشا فى مايو ١٩١٩ ، وأن اللنبي لم يجد خليفة له فى رئاسة الحكومة ، وأنهم بعد أيام قليلة عينوا محمد سعيد باشا ، مركزًا مهمته الأولى فى استعادة النظام والهدوء لبلد لايزال يعاني من ثورة الربيع المجهضة ، وأنه مع زملائه كرسوا كل طاقاتهم ، وحققوا قدرًا من النجاح ظهر واضحًا في شهر يوليو . فعقدوا محاكمات للقضايا الناشئة عن اضطرابات مارس وأبريل . وثقة فى الوزارة الجديدة تم إلغاء الرقابة على الصحف ، واستغل الوطنيون المصريون حالة البلاد فى التحريض ضد بريطانيا ، حيث كان الفلاحون يشكلون أكثرمن ٩٠٪ من سكان مصر ، وكانوا يتمتعون بدرجة غير مسبوقة من الازدهار لكنهم تعرضوا لماسى خلال فترة الحرب ، ناهيك عن ارتفاع تكاليف المعيشة فى المدن ، وأن الوطنيين استمروا يستغلون ذلك الأمر ضد حكومة محمد سعيد وبريطانيا ، ففي أوائل يونيو ١٩١٩ شهدت القاهرة

بعض المظاهرات الصغيرة لكنها كانت سلمية ، فلأسباب اقتصادية برزت الاضطرابات الصناعية بين فئات عمال المدن ، استغلها السياسيون فى التحريض على الإضرابات . وفى ٢ سبتمبر جرت محاولة لاغتيال رئيس الوزراء عن طريق قنبلة ، لكن تم اعتقال المعتدي ، وكانت الحكومة قد حاولت عبر إنشائها لمجلس التوفيق تحسين ظروف العمل وزيادة أجور العمال ، وبالمقابل نشر الوطنيون المصريون برقية في سبتمبر مفادها أن مجلس الشيوخ الأمريكي قد قرر أن مصر ليست تحت حكم تركيا أو بريطانيا العظمى ، وأنها مستقلة سياسيًا ، وعلى الرغم من أن هذه الشائعات كانت تتناقض رسميًا مع تصريحات الوكالة الأمريكية في القاهرة ، إلا أن تأثيرها كان كبيراً . بل إن أعضاء الحزب الوطنى كانوا يروجون بوجود دول غربية تتعاطف مع استقلال مصر ، وراح يشير بأن هذا مخالف للواقع المعلن ، من أن فرنسا وأمريكا وألمانيا قد اعترفوا رسميًا بالحماية البريطانية ، وأن إيطاليا وعدت بالاعتراف بالحماية ، مشيراً بأن موجة الإحباط التام التى عمت المصريين من جراء تلك الاعترافات ، هى التى كررت الفوضى في أكتوبر ، وأنه من المتوقع بأن تقوم لجنة ملنر بتقديم المساعدة فى حل المسألة ، ورغم أن ختام الوثيقة بأنه سبق تأجيل البعثة عدة مرات ، أبرزها ما تم فى شهر مايو ١٩١٩ ، وأن هناك معارضة محلية للبعثة ورفضًا للحماية البريطانية ، إلا أن أهمية مصر الاستراتيجية هى التى فرضت ضرورة المحافظة عليها(٤٢) ، وبالتالى فإن السياق العام كان ينحو نحو التهدئة ومحاولات الإصلاح من قبل وزارة محمد سعيد .

وبالنظر لما جرى خلال تلك الفترة فى الإسكندرية عبر وثائق الخارجية البريطانية سنجد أنه فى نهاية شهر أغسطس ١٩١٩ قد حدثت تطورات مهمة ، أثرت نتائجها فى أحداث المدينة فيما بعد ، ففى السياق العام جاءت أنباء عبر رسالة السير وينجيت لكيرزون فى ٣١ أغسطس ١٩١٩ حول الأحداث التي وقعت في مصر

والسودان منذ أن توليت مهام المفوض السامي لمصر ، شارحًا الظروف التي أدت للأزمة السياسية ، والتطورات التي نشأت عنها ، لتضعها بعثة ملنر فى الاعتبار(٤٣) .

وسبقتها رسالة اللنبى لكيرزون فى ٢١ أغسطس ، وكانت تتحدث عن حركة الإضراب الكبيرة من قبل موظفى الترام في القاهرة ، وأعقبهم خروج عمال مصنع السجائر ونوادل المقاهى وسائقي الأجرة وغيرهم ، وأنه حتى وقت كتابة تقريره لم يعد غالبية المضربين إلى العمل ، فيقول بأن هذه الحركة قد انعكست على الإسكندرية ، حيث ترك العاملون في ورشة السكك الحديدية والخبازون ومصففو الشعر أعمالهم . فى حين عاد الخبازون إلى العمل بعد وقت قصير ، إلا أن عمال السكك الحديدية ظلوا مضربين . بل سبق أن ترك موظفو الترام أعمالهم في ١٩ أغسطس ، بهدف الاعتراف الرسمي بالنقابات . وبدأت التظاهرات فى المدينة سلمية ، لكنها تحولت للعنف بسبب مشاركة المتطرفين والعناصر الاشتراكية الإيطالية في البلاد . فكلاهما كان يرغب في الاستفادة من المحركات الاقتصادية والاجتماعية لأهدافه السياسية الخاصة ، حيث انتشرت الدعاية المناهضة لبريطانيا على نطاق واسع ، فكانت هناك مؤشرات تدل على تقدم الدعاية البلشفية من قبل أقلية صغيرة جداً ، سواء في القاهرة أو الإسكندرية مستغلين شكوى موظفى الترام حول ظروفهم المعيشية السيئة ، وأن مديري خطوط ترام القاهرة وهليوبوليس والإسكندرية لم يستوفوا الوعود التي قطعوها . غير أن قرار الحكومة بتشكيل مجلس للتوفيق فى ١٨ أغسطس برئاسة الدكتور ألكسندر جرانفيل ، رئيس مجلس الحجر الصحي بالإسكندرية ، وعضوية ثلاثة مصريين وبريطاني واحد ، قد خففت المسألة بل إن قرار الحكومةبالبدء فى إنشاء جمعية تعاونية مهمتها توفير المواد الغذائية لموظفي الحكومة بسعر التكلفة ، وتحسين الظروف التي يعملون فيها قد ساعد على تهدئة الأحوال أكثر ، وما تقوله الوثيقة بأنه حين عاد إسماعيل صدقي باشا إلى مصر ، برفقة محمود أبو النصر

ومحمد بدر وعزيز منسي ، قد أحدثوا تشويهًا لسمعة سعد زغلول واتهموه بخيانة القضية المصرية ، كمحاولة من قبل الحزب الوطنى القديم ، بقيادة أحمد لطفي السيد وعبد اللطيف السفياني ، لاستعادة موقعه في البلاد ، يشى بأن السلطات البريطانية كانت تدرك الخلافات الشخصية ، وكانت تلعب عليها ، وما ذكرته الوثيقة بأن هؤلاء الأشخاص قد نشروا شائعات تشاؤمية تتعلق بأنشطة سعد زغلول وحزبه في باريس ، يصب فى نفس الاتجاه لكن فى الوقت الذى كانت فيه التقارير الواردة من المحافظات تشير بأن البلاد لاتزال متحمسة ، خصوصًا في الزقازيق والشرقية والدقهلية ، لكن الوثيقة اختتمت بتكريس الصحافة المحلية للاهتمام بأنشطة حزب سعد زغلول في باريس ، ونشرهم لأخبار الاضطرابات العامة في جميع أنحاء العالم ، وأن الإضرابات المنتشرة فى مصر يقودها عدد محدود معظمهم من طبقة المحامين ، بهدف إحراج النظام الموجود(٤٤) ، وبأن الإسكندرية موجودة في جميع مشاهد الثورة وتجلياتها .

ويبدو أن الخطوات التى اتخذت لتهدئة الثوار ومقاومة الدعاية البلشفية قد خففت من حدتها فى مدينة الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية ، ورسالة السير شيتهام إلى إيرل كيرزون فى ١٦ سبتمبر ١٩١٩ تشير بأن الحكومة المصرية كان عليها أن تأخذ في الاعتبار تكاليف المعيشة وتأثير ارتفاع الأسعار على موقف موظفي الحكومة ، وأن منحة الحرب التى أعطيت لهم غيركافية ، خصوصًا بين فئة الموظفين الدنيا ، وهو ما استغله المحرضون فى إضرابات السكك الحديدية والتلغراف وغيرها . ولمواجهة هذا الوضع ، قرر مجلس الوزراء زيادة كل الرواتب والأجور بنسبة ٢٠ في المائة ، بحد أقصى قدره ٣٠٠ جنيه مصري ، وأيضًا زيادة مكافأة الحرب بنسبة ٦٠٪ بحد أقصى ١٩٢جنيهًا ، على ألا تتجاوز الزيادة في الأجر والمكافأة الحد الأقصى ، وهو ٣٠٠ جنيه استرليني منذ ١ أغسطس ، وأيضًا اتخاذ تدابير فورية لترخيص أسعار الغذاء ، وإعادة التعريفات الجمركية وفتح المتاجر الحكومية وإنشاء لجان محلية

لإصلاح الأسعار في مختلف المدن والأحياء ، وفيما يتعلق بتجارة اللحوم فأشارت الوثيقة بأن الإدارة البريطانية ذكرت أنها يمكنها التحكم فى أسعار الحيوانات المستوردة من السودان مقابل إعطائه القمح ، واتخاذ خطوات لتقييد قدرة الملاك على رفع الإيجارات التي تضغط على بعض الطبقات في المدن . خصوصًا وأن ملامح الوضع السياسي قد أصبحت أكثر بروزًا في الشهرين الماضيين ، حيث انتشرت الدعاية البلشفية بين النقابات العمالية من خلال المحامين المصريين ومن قبل عملاء أجانب . وأنه بمجرد ظهور التدابير الحكومية السابقة قدم شيتهام اقتراحًا بوجوب اتخاذ خطوات بموجب القانون العرفي ضد المحرضين الذين يثيرون الاضطرابات [٤٥] .

ورسالة اللنبى إلى إيرل كرزون فى ٣١ أغسطس ١٩١٩ تتحدث عن المذكرة السرية التى وضعتها المخابرات العامة فى ٩ إبريل ١٩١٩ حول موضوع الدعاية البلشفية ، وأن شخصًا إيطاليًا يسمى بيتسو هو الذي ارتبط بتنظيم النقابات العمالية المختلفة . فعلى سبيل المثال كان لا يتم قبول عمال الطباعة المصريون فى النقابة ، لكن منذ وصول بيتسو تم إدخالهم على قدم المساواة مع الأوروبيين . وقالت بأن الدعاية البلشفية قد ارتبطت بالأموال التى يأتى بها البحارة الاسكندنافيين في طريقهم إلى الشرق الأقصى ، خصوصًا فى بورسعيد والسويس ؛ مما جعل المندوب السامى يأمر بإجراء رقابة على تلك السفن التي تبحر إلى مصر لمقاومة الدعاية التخريبية ، ومتابعة الأمر في الدول الاسكندنافية والدول الأجنبية الأخرى التي يوجد بها تنظيم مركزى للبلشفية ، لتقييد تحركات مواطنيهم عبر قناة السويس[٤٦] . وحمل ملحق الوثيقة السابقة مذكرة الرائد كورتينى حول الدعاية البلشفية في مصر فى ٢٨ أغسطس ١٩١٩ ، حيث أرفق تقريرين بشأن انتشار الأفكار البلشفية في مصر ، ومعلومات حول بيتسو الإيطالي ، وأنه ولد في مصر وانه تم استدعاؤه للخدمة في الجيش الإيطالي أثناء الحرب العالمية الأولى . ثم عاد إلى مصر بعد انتهائها ، وأنه كان قبل الحرب

مجرد عامل طباعة غامض يربح بضعة فرنكات في اليوم ، لكنه عاد ومعه الكثير من الأموال ، حيث اتخذ منزلاً كبيراً في القاهرة وأصبح رئيساً لشركة «بورسد وترافيل» السياحية ، وكان لايخفي ميوله عن أصدقائه ، وكان يكتسب قدراً من التأثير بين الأجانب والسكان الأصليين . متطرقًا بأن إلغاء الرقابة على الصحف قد أتاح الفرصة للقيام بحملة صحفية لصالح البلشفية ، بل إن فتوى الشيخ محمد بخيت ، مفتى الديار المصرية ، ووجهت بعاصفة من الانتقادات للرجل ، عبر سيل من المقالات في الصحف المحلية بهدف إقناع رجل الشارع بأن البلشفية الحقيقية هى إنقاذ مصر ، وفي الأقاليم كانت البلشفيةتقدم للفلاحين الأميين على أنها ستغير حياتهم وأنهم يمكنهم الحصول على الأرض بالمجان وأنهم لن يدفعوا ضرائب وأنه سيتم طرد البريطانيين(٤٧) .

ويشير تقرير انتشار الأفكار البلشفية في مصر ، بأنه أجرى محادثة طويلة مع بيتسو ، وتحدث بشكل صريح عن البلشفية وذكر له أنها الملهمة لحركتهم ، والوحيدة التى يمكن أن تجلب السعادة إلى عالم العمل ، وأنها منحة الهية منذ أيام النبى موسى ، عبر قيامه بتوزيع الأرض بين القبائل ، ثم صارت واضحة فى عهد يسوع ، وسوف تغطي العالم المتحضر برمته ، وأن المال يأتى لبيتسو بانتظام من بورسعيد من خلال العديد من البحارة الاسكندنافيين الذين يعبرون القناة إلى الشرق الأقصى ، وسأله عن فتوى الشيخ بخيت فضحك مشيراً بجهل المفتى بمحتوى البلشفية ، وأنها تشكل أرضية سهلة للدفاع عن البلشفية ، ليس في مصر فقط ، ولكن في الهند وأفغانستان أيضًا ، باعتبار أن أهلها مقصودون بذات الموضوع مشيراً بموافقة الشيخ القصاص على البلشفية علانية ، متطرقًا للتهمة التى وجهتها اللجنة المركزية لموريس زايدينبيرج ، بأنه أحد الأعضاء الرئيسيين للبلشفية في مصر ، وكان يحرض الفلاحين فى القرى ، وأن الكثيرين فندوا فتوى المفتى بين السكان الأصليين(٤٨) .

وأشار ملحق يضم اللائحة الداخلية لنقابة الموظفين ونسخة مطبوعة من لائحة

نقابة عمال الطباعة مكتوبة باللغة الإيطالية وترجع لعام ١٩١٥ ، بأنه حتى ذلك الحين لم يتم قبولهم في نقابة المطابع ، ولكن منذ وصول بيتسو لمصر قام بتغييركل ذلك ، واصبح يتم قبول العرب على قدم المساواة مع الأوروبيين . وأن هناك نسخًا أخرى من اللائحة مكتوبة باللغات الفرنسية والعربية والإيطالية واليونانية . متطرقًا بأنه منذ أن تم إلقاء القبض على المحامى محمد كامل حسين ، تقرر بأنه لا يجوز أن يكون المحامون رؤساء للنقابات ، بل يكونوا مستشارين قانونيين فقط . وفيما يتعلق بالبلشفية فقد تقابل مع أحد عيون الإدارة البريطانية على البلاشفة ، فأخبره بأن بيتسوا رجل ذكي ، وأن مصروفات شركته تصل إلى حوالي ٧٠ ألفاً فى الشهر ، وأن دخل الشركة لا يكفى ، لهذا كانت تأتيه الأموال من أوروبا بغرض الدعاية البلشفية ، لتوفر له ذلك العجز . متطرقًا لدور الإسكندرية فى مقاومة فتوى الشيخ بخيت من خلال الدور الذى قام به الشيخ محمود عبدالله القصاص فى هذه المقاومة ، واعتناقه البلشفية وأسس جمعية سرية لإدخال الأسلحة والذخائر إلى مصر ، ونشر مقالاً صحفيًا قوياً ضد المفتي ، وأن الشيخ محمد عبداللطيف دراز ، رئيس المؤسسة المحمدية بالإسكندرية ، قام بكتابة مقال صحفى فى جريدة البلاغ أثبت فيه أن البلشفية مختلفة تمامًا عن الوصف الوارد في فتوى المفتى ، وأن خير مثال لذلك أن انجلترا ، وهى الدولة المحتلة لمصر بها حزب سياسي كبير يقوم على المبادئ البلشفية . مطالبًا المفتى بأن ينشر فتوى أخرى يشرح دور الدول المحتلة فى نهب الثروات وقتل السكان واحتلال البلاد ، وأن ما جاء فى الفتوى عن البلشفية هو ليس بالبلشفية الحقيقية ، ناهيك عن صدور قصائد تمدح البلشفية وتطعن فى فتوى المفتى وتهين شخصه[٤٩] . كل ذلك وغيره يؤكد أن الإسكندرية لم تكن ميدانًا للمظاهرات فقط ، بل كانت ساحة فكرية تحرض صحافتها على الثورة ، ويتولى شيوخها الرد على محاولات الإنجليز استغلال فتوى الشيخ بخيت لصالحهم .

ورسالة شيتهام إلى إيرل كرزون فى ١١ سبتمبر ١٩١٩ تتطرق للوضع العام في مصر خلال الفترة من ٨ سبتمبر إلى ١١ سبتمبر ، فتقول بأن الاضطرابات السياسية والصناعية الحالية قد لفتت الانتباه إليها ، لكنها لم تكن بعنف ما حدث في مارس الماضي ، غير أنهم يسعون لتحقيق أهدافهم عن طريق الإضراب العام فى البلاد تحقيقًا لما ينادى به سعد زغلول وصحبته في باريس ، وأن حمد الباسل كان ينادى بأن هذا الإضراب سينضم له جميع المسؤولين الحكوميين وموظفى الخدمات العامة ، فضلاً عن المجتمع الصناعي والتجاري والمحامين والقضاة ، لأن العنف المفتوح مصيره الفشل . ويرون أن نجاح الإضراب يتطلب استغلال البروليتاريا أملاً فى تحسين أحوالهم المعيشية ، وأن انتشار الأفكار البلشفية يشكل جزءاً من عدم الاستقرار ، وأنه قد ازداد بتأثير حزب سعد زغلول المتطرف ، حيث أعلن سعد بأن الاستقلال السياسي لمصر قد تم الاعتراف به من قبل لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي ، وأن سعداً يعتمد على الجماهير في دعم القضية مالياً ، وأن يتحملوا الخسارة التى تترتب على الإضراب العام ، وأن هذا الاضراب سيتزامن مع وصول لجنة اللورد ملنر أو مع توقيع معاهدة السلام مع تركيا ، وبالرغم من أن قادة الحركة يعارضون سياسة التمرد العنيف ، إلا أن سيطرتهم على الجماهير مشكوك فى أمرها فى ذلك الوقت ، وأن وجود السلطات العسكرية في البلاد هو مصدر قوة كبير للسلطات المدنية في تنفيذ واجباتها . خصوصاً مع عودة أغلبية حزب سعد زغلول إلى مصر أو فى طريقهم للعودة ، فلم يبق منهم في باريس إلا سبعة أفراد فقط ، ومع ذلك كان يسود الهدوء البلاد وكان السلطان فؤاد يقيم الحفلات لاستقبال زواره ، مركزاً فى خطبه على دور البلشفيين فى التحريض(٥٠) .

ومع أن رسالة شيتهام لكرزون فى ٢٥ سبتمبر ١٩١٩ تؤكد بأن موضوع الحماية على مصر قد أصبح محسوماً(٥١) ، إلا أن رسالته ٢٦ سبتمبر ١٩١٩ والتى تشير

لاتفاق بينه وبين رئيس الوزراء على وجوب تأجيل وصول بعثة ملنر حتى يتم فرض شروط السلام على تركيا ، يقطع بأن بريطانيا كانت تتعامل مع الموقف فى مصر بحرفية شديدة ، وأن مطالبة شيتهام بوجوب الاعتماد على القوات البريطانية فى إخماد أي اضطراب يحدث فى مصر ، لأن الإدارة المدنية لم تفرض قبضتها بعد ، ولا يمكن الاعتماد عليها لمنع حدوث المشكلات وعدم انتشارها ، يقول بأن المظاهرات مستمرة ولم تنقطع .وما تختم به الوثيقة بأن بعض الأدلة على ضعف تأثير المتطرفين ، وأنهم يجدون صعوبة في الحصول على المال ، ويبذلون كل ما في وسعهم لاستعادة مكانتهم من خلال الاستفادة من الاضطرابات الاقتصادية ، وأنهم يدفعون موجة الإحباط ضد بعثة ملنر ، وتخوف الممثلين الأجانب البارزين من هذا الحراك وتحذيرهم منه(٥٢) ، يشي بأن تفاعلات الثورة المصرية وتحركاتها كانت مقروءة من قبل الجميع .

وفى هذا الإطار تأتى رسالة شيتهام لكرزون فى ١٣ أكتوبر ١٩١٩ لتنقل لنا حملة الصحافة العالمية ضد بعثة ملنر بدعاية من سعد زغلول وصحبه من ناحية ، وعداء الصحافة المحلية بشكل عام لرئيس الوزراء من ناحية أخرى ، مع إقرارها بوجود رأي خفي لصالح الرجل ، لكن حديثه عن قيام سينوت حنا ، أحد الأقباط فى لجنة الوفد ، بنشر مقال مطول في الصحيفة القبطية ، وأن محمد سعيد رد عليه فى جريدة الأهالى في ٨ أكتوبر ، وقوله بأن هدف المتطرفين هو التصويت بعدم الثقة في الحكومة(٥٣) ، يدلل على أن تلك الفترة كانت مميزة بمعاركها السياسية والفكرية ، أكثر من الحراك الثورى على الأرض .

وخلاصة مقال سينوت حنا الذى جاء بعنوان موقف الأمة من لجنة ملنر ، بأن المصريين قرروا بالإجماع مقاطعة اللجنة ، معدداً المساوئ التى ارتكبها البريطانيون في مصر ، وأنهم يتمسكون بحق الوصاية وعدم إعطاء الاستقلال ، وقد شوهوا جمال الوطن وقتلوا المبادرات الفردية ، وأفسدوا التعليم ونهبوا عشرات الملايين من

الجنيهات ، ونظموا ضد الحركة الوطنية حملة صحفية واسعة ، وحرموهم من تعاطف الدول الأخرى بحجة أن حركتهم تنحو باتجاه العنف ، وأنهم قرروا إرسال لجنة بقيادة ملنر مهمتها منح مصر شكلاً من أشكال الدستور ، والتضحية بالقليل من الإدارة الجيدة لإرضاء المصريين ؛ كون المصريين غير قادرين على حكم أنفسهم ، ويسخر المقال من يتم اختزال القضية المصرية لتصبح وكأنها شأنًا داخليًا بين إنجلترا والولايات المتحدة من خلال البعثة ، ولتمام القبول بالحماية ، وهو ما يضر بجيلهم وبالأجيال القادمة ،كونهم يقبلون بشكل من اشكال الدستور بديلاً للاستقلال ، وأن طلب تأجيل اللجنة لا يكفى ، طالما أن المبادئ الجديدة السائدة فى العالم تمنح المصريين الحق في تقرير مصيرهم ، منتهيًا بأن مصر تسعى للاستقلال التام ، مستخلصًا بأن كل وضع عدا هذا الاستقلال إنما يعد لاغيًا وباطلاً ، وأنه وجب على الحكومة أن تصطف إلى جانب الأمة فى مطلب الاستقلال(٥٤) .

وجاءت مقالة محمد سعيد فى جريدة الأهالي «في ٨ أكتوبر ١٩١٩ ردًا على مقالة سينوت حنا السابق ، حول الوزارة وبعثة ملنر ، لتقول بأن الحكومة التى يعترض عليها سينوت حنا كان لها موقف معادى من اللجنة ، ومن مسألة ديروط ، حيث ألغت المحاكم العسكرية والرقابة وحررت السجناء السياسيين ، وأن الكل سعيد بهذا الموقف اللهم إلا سينوت حنا ، عضو الوفد المصري والجمعية التشريعية ، حيث يطالب باستقالتها ، ولم يعرف بعد رد الحكومة الإنجليزية على احتجاج الحكومة المصرية ضد لجنة ملنر ، معترضًا على مطالبة حنا بالاستقالة ، وكرر صاحب المقال ما ذكره فى مقاله خلال تصريحاته لجريدة التايم ، رافضًا انتظار معاهدة السلام مع تركيا لضمان تخليها عن مصر(٥٥) .

وقدمت لنا إحدى الوثائق المؤرخة بـ ٩ أكتوبر ١٩١٩معلومات فى غاية الأهمية حول الاجتماع الذى عقده حافظ عفيفي مع ويصا واصف والصوفانى وآخرين ، بلغوا

٢٨ فرداً ، وتحدث فيه عفيفى حول سعد زغلول ودوره الوطنى وعلاقته بالإنجليز فى باريس ورفضه المساومة ، وشرحت تعامل الوفد مع أعضاء البلشفية ، وأن البلاشفة الروس والمجريين وعدوا سعداً فى باريس بمساعدته على طرد الإنجليز من مصر ، لأن كل ضعف للإنجليز في أي جزء من العالم ، هو ميزة للسوفييت وهزيمة للرأسمالية ، فأكدوا على وجوب تبنى الراديكالية لتصبح مصر حرة مستقلة ، لكن أفراد الحركة الوطنية وعدوهم بأن الدعاية للأفكار الإسلامية هى الأقرب للاشتراكية ، مما جعل البلشفيون يعدونهم بمساعدتهم بشكل مضاعف ، بالمال الذي قدموه لسعد ، وبالمساعدات للحركة النقابية فى مصر ، فضلاً عن الدعاية التي يقومون بها بشكل غير مباشر . مما جعل أعضاء الوفد بالمقابل يعدون بإنتاج نفس الحركة بين الفلاحين ، واضعين برنامجًا واسع الانتشار لهذا الغرض [٥٦] . ورسالة شيتهام لكرزون فى٢٦ أكتوبر ١٩١٩ ، والتى تعطى معلومات إضافية مفادها أن الجنود أطلقوا النار ، فتم إلقاؤهم بالحجارة من قبل الغوغاء[٥٧] ، تشى بأن العنف البريطانى قد جاء رداً على عنف الثوار ، ورسالة شيتهام لكرزون فى ١٦ أكتوبر ١٩١٩ ، يشير إلى موضوع الدعاية التي قامت بها إحدى الجرائد الإيطالية ، وأنه أحال تقريراً من المخابرات العامة للقوات المصرية حول طريقتهم فى التعامل مع الأنشطة البلشفية في مصر ، وأنه لا يمكن ضمان دقة هذا التقرير بشكل كامل ، ولايمكنهم التعرف على الكثير من تقدم البلشفية في مصر ، مؤكداً على أن قلة من الناس ، ومعظمهم أجانب ، لديهم تصور عن معتقدات البلاشفة ، إلا أن الأدلة تقطع بأن المتطرفين يفسرونها للفلاحين على أنها تعني توزيع الأراضي بالمجان ، وما قدمه الدكتور حافظ عفيفي عن علاقات سعد زغلول بالبلاشفة الروس والهنغاريين أمر محتمل للغاية ، خصوصاً وأن سعد كان يهدف إلى إقامة جمهورية في مصر ، وطبيعى أن يقوم بتحريض المتطرفين ضد السلطة القائمة وأن يتحالف معهم[٥٨] .

هذا وقد أحال شيتهام لكيرزون فى ١٦ أكتوبر ١٩١٩ نسخة من كتيب جرى تعميمه فى الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية ، عندما كان يُعتقد أن لجنة ملنر على وشك الوصول[٥٩] ، وملحق ترجمة هذا الكتيب الذى تمتد أوله في مصر ، تعرفنا على طبيعة التحركات الوطنية فى تلك الفترة فتحت عنوان أين أنت؟راحت اللجنة العاجلة تطلب من المواطنين أن يستيقظوا من نومهم العميق ، وأن يتذكر كل واحد منهم كيف أذهلت تحركاته العالم المتحضر؟ متسائلاً أين يديك التي قاتلت ضدا إنجليز؟ فكيف تسمع صراخ وانت في هدوء تام . أو ترى وزارة سعيد تبيع بلادك من أجل المال ، محرضًا ضد الوزارة ورئيسها ، وأنه رجل بائس وعلى شاكلة وزارته ، وأن فترة وزارته هى فترة الرشاوى والمحسوبية . وأنهم بلا ضمير أو مبادئ أو شرف ، حيث يقولون بأن سعد زغلول هو الذي دعى نفسه لرئاسة الوفد ، وأنه لم يتم دعوته لذلك ، وأن المزارعين المصريين يتعاطفون مع الإنجليز ، ويظهرون كل ارتياح لحمايتهم ، وأن اللجنة ستحقق التطلعات الوطنية للمصريين ، وأن إصلاحاتهم تنحصر فى الإصلاحات الدستورية فقط ، ويتضح هدف الكتيب من طريقته لتعليم المواطنيين كيف يجيبون على أسئلة اللجنة إذا سألت الاسئلة التالية : ما مطالبكم ، ولماذا قمتم بإثارة الاضطرابات الأخيرة؟ بأن تكون إجابتهم : «لقد تمردنا حتى يتسنى لأوروبا سماع صوتنا ، وللتفويض للوفد بمغادرة مصر ، ومطالبنا هى نفس تلك المطالب التي حددها الوفد وهى الاستقلال التام لمصر ، وألا يقولوا خلاف ذلك ، خشية أن يدعي هؤلاء الأشخاص الوضيعون بأنكم لاتفضلون التفويض» . متحدثًا عن حث الفرنسيين للإنجليز بضرورة إخلاء مصر ، وأن الوفد يؤدى مهمته على أحسن ما يكون فى باريس ، مشيرًا لمَاسى الإنجليز فى مصر فى المحاكم وحرمانها المصريين من طعامهم ، وإحراقهم للقرى والنجوع ، وقتل المصريين وإنزال سعر القطن ، وأنه حينما ينتهى المواطن من قراءة الكتيب عليه أن يعطيه لصديقه للاطلاع عليه لتحقيق النجاح الوشيك [٦٠] .

خامسًا- مظاهرات أكتوبر ١٩١٩ فى المراسلات البريطانية

إذا كانت الإسكندرية قد شاركت فى معركة فتوى الشيخ بخيت بشأن البلشفية ، فإن رسالة شيتهام لكيرزون فى ١٦ أكتوبر ١٩١٩ تقول بأن المدينة لم تغب عنها الثورة مطلقًا ، حيث تشير إلى مكاتبة ٩ أكتوبر ١٩١٩ بخصوص إضراب خط ترام الإسكندرية وأنه انتهى يوم ١٥ أكتوبر ، وتعرض لتقريركامل حول تسوية إضرابات الترام ، والذى قام به مجلس التوفيق في هذا الأمر ، وأن إضراب الإسكندرية قد برز لأسباب اقتصادية ، وكمقدمة للإضراب الوطني الكبير الذي سيحدث عند وصول لجنة ملنر . مضيفًا بأنه حدث إضراب من قبل موظفي شركة دلتا لايت للسكك الحديدية ، وهي شركة بريطانية . ولم يتوقف إضرابهم إلا بزيادة في الأجور ، لكنهم كانوا يهددون بالإضراب مالم تستجب المديرية لمطالب أخرى وأنه ذهب وفد من القاهرة إلى رئيس الوزراء فى الإسكندرية ، مقر الحكومة الصيفى ، لمناقشة بعض المسائل ، ومع توالى الأخبار بتأجيل وصول لجنة ملنر إلى فترة لاحقة ، إلا أنه حدثت مظاهرة متوسطة الحجم في الإسكندرية تم تفريقها بسرعة وبهدوء . وحين وصلت الأخبار للإسكندرية حول رحيل محمد باشا محمود عن أمريكا ، وانتهاء الأمل فى معالجة مجلس الشيوخ الأمريكي للقضية المصرية دوليًا ، ظهرت حملة صحفية تدين لجنة ملنر ، وتدعو المصريين لمقاطعتها [٦١] .

وتقطع رسالة شيتهام لكرزون فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٩ حول بلاغ ميليتى عن حالة الإسكندرية ، بأن القوات خرجت لتفريق مظاهرة لم تتمكن الشرطة من التعامل معها ، وأن الحالة الثورية فى المدينة لم تنقطع أبدًا . وأن القوات البريطانية قد اضطرت لإطلاق النار ، فقتلت ثلاثة من السكان الأصليين[٦٢] ، وتشير الوثيقة بأن العنف الحكومى وعنف الثوار المضاد ، قد برز فى الإسكندرية بشكل واضح ، ورسالة شيتهام لكرزون فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٩ تشير لاستمرار الاضطرابات في الإسكندرية . وأن

نتيجة هذا الاضطرابات قد أحرقت سينما وسيارة وشاحنة ، وأن اندلاع الاضطرابات من جديد صباح ٢٥ أكتوبر ، قد جعل القوات تستولى على أحد الأحياء السكنية في المدينة ، واصفًا القائمين على تلك المظاهرات بأنهم من العناصر العنيفة ، وليسوا من الطلاب أو من الطبقات الأفضل من المصريين(٦٣) ، ويشير بأن مدينة الإسكندرية قد بلغت بها الثورة في أكتوبر ١٩١٩ مبلغًا كبيراً لا يمكن مقارنته بأى مدينة مصرية بما فيها مدينة القاهرة نفسها .

وتغذينا برقية كيرزون لجراى ، القنصل البريطانى فى واشنطن ، فى ١٩ نوفمبر ١٩١٩ ، بالمعلومات حول الاضطرابات الأخيرة في مصر ، خصوصًا وأن ما حدث فى الإسكندرية من قتل كان له صدى عالمى . فأعلمه بأن ما نشره الوطنيون حول خلاصة أحداث مسجد أبي العباسى المرسى يوم ٢٤ أكتوبر ، هو أن الشرطة حاولت تفريق مظاهرة قام بها حشد كبير خارج المسجد ، فتم إلقاؤهم بالحجارة ، فاستغاثوا بالقوات العسكرية البريطانية فاضطروا لإطلاق النار ، وحينما قام مثيروا الشغب بإقامة متاريس في بعض الشوارع ليلة ٢٥ أكتوبر ، أصبح الوضع سيئًا ، حيث سيطر العنف على الشوارع في ربع المدينة . وحين أضرم المتظاهرون النار في مسرح للسينما ، وأحرقوا شاحنة ، استعانوا بالقوات العسكرية فتمت استعادة النظام . حيث بلغ مجموع الضحايا بين الشرطة سبعة وأربعين ، ومن الأهالى سبعة قتلى و ٢١ جريحًا ، وحدثت إصابات طفيفة بين القوات البريطانية(٦٤) .

ويبدو أن الموجة الثورية فى الإسكندرية فى شهر أكتوبر١٩١٩ لم تكن كسابقتها طيلة فترة الثورة من مارس حتى أكتوبر فالرسالة التى أرسلت فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٩ ، تقول بأن شيتهام قد أبلغ الخارجية البريطانية عبر مراسلات عديدة بالاضطرابات الأخيرة في الإسكندرية ، وأنه تلقى تقارير رسمية عن الأحداث ، وعن الأسباب المحتملة التي أدت إلى حدوثها ، وأنه يمكن تعديل الروايات بشأنها عند

اكتمال التحقيق الرسمي . مفصلاً الحديث بأنه في أيام الجمع الأخيرة ، وبعد انقضاء صلاة الجمعة مباشرة ،كانت الخطب تلقى من أمام مسجد أبي العباس المرسى في الإسكندرية ، لتظهر المعارضة للجنة ملنر ، وتطالب باستقلال مصر . وكقاعدة عامة كان المتحدثون بعدها يصرون على ضرورة التظاهر ، وكانت الإدارة البريطانية بالمقابل قد زرعت عميلاً محليًا فى ذات المسجد ، اقتصرت مهمته كل يوم جمعة على إقناع طلاب المدارس الحكومية وطلاب المعاهد الأزهرية ، بالامتناع عن الحديث والتظاهر . مشيرًا بأن جهود هذا العميل قد لقيت نجاحًا كبيرًا خلال جمعتين من تلك الجمع . وأنه كان من السهل على قوة صغيرة من الشرطة تفريق المظاهرات ، أما ما حدث يوم الجمعة الموافق ٢٤ أكتوبر ، حينما قامت الشرطة باتخاذ الترتيبات اللازمة للتعامل مع أي مظاهرة تخرج من المسجد في تمام الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة ، إنما هو أمر مختلف ، فبعد الانتهاء من الإجراءات في المسجد ، ذكر ضابط شرطة بريطاني أن حشدًا كبيرًا قد تجمع في الخارج ، وأنه كان يخشى حدوث المشكلات . وهو ما حدث في تمام الساعة الواحدة ظهرًا ، فقد تم رجم الشرطة بالحجارة من قبل أعداد من الناس كانوا يتجمعون خلفهم ، فطلب المساعدة العسكرية ، فأرسلت مجموعة مكونة من خمسين جنديًا بريطانيًا وسيارة مدرعة ، وتم إرسال خمسين آخرين إلى نقطة ثانية ، وتقول الرواية بأنه حين تم رشق الجنود بالحجارة فور وصولهم ، اضطروا لإطلاق النار ، فقتلوا ثلاثة أشخاص وأصابوا سبعة ، واعتقلوا ٣١ فردًا ، وأنه بالمقابل أصيب ٤٧ من مجموع ١٥٠ شرطيًا ، بما في ذلك ضابطا شرطة بريطانيين ، وانه فى تمام الساعة الخامسة والنصف مساءً انسحبت قوات الشرطة . لكن فى أثناء الليل أفاد مقر الشرطة المحلية في حي الجمرك أن الطريق كان مملوءًا بحشد من الفتيان والرجال . فأرسلت الشرطة البريطانية سيارة مدرعة إلى هناك فى تمام الساعة الرابعة والنصف صباح يوم ٢٥ أكتوبر ، فوجدت الأمور هادئة ، فقامت باستبدال أحجار الرصف التي أزالها المتظاهرون . لكن الأمور تغيرت في تمام الساعة الحادية عشرة

صباحًا ، حيث أفاد ضابط شرطة بريطاني بأن الوضع كان سيئًا ، وأنّ الأهالي كانوا يملكون سيطرة كاملة على الشوارع في الجزء الشمالي من حي الجمرك ، وكانوا يهينون الشرطة علانية ، بعد أن وضعوا الحواجز في نقاط مهمة ، وأنه تم إحراق سينما وشاحنة في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً . فطلبت الشرطة مساعدة الجيش ؛ فتم إرسال قوات ، فأطلقت النار على الحشد ، فقتلوا أربعة وجرحوا ١٤ ، وذكر قائد شرطة مدينة الإسكندرية بأن المظاهرات التى حدثت فى تلك الجمعة كانت بسبب إشعار خاطئ نُشِر في صحيفة قومية في ذلك اليوم ، فاعتقد المتظاهرون أن لهم مطلق الحرية في مسيرتهم عبر المدينة ، مشيراً بأن طلاب المعاهد الدينية لم يشاركوا فعلياً في التظاهرة أو فى الهجوم على الشرطة ، حيث كانت هناك شكوك بأن أطرافًا أخرى قامت بتحريض الطلاب على العنف ، وختام الرسالة بأنه تم إلقاء القبض على ثلاثة من زعماء المتظاهرين ، ممن ألقوا الخطب فى ذلك اليوم ، معترضة على ما روجته الصحافة المحلية والطلاب عبر البرقيات المرسلة إلى أوروبا وأمريكا ، من قيام القوات البريطانية بارتكاب الفظائع ، وأن سلوك القوات البريطانية كان مثاليًا ، وأنها لم تطلق النار إلا عندما أجبرت على ذلك[٦٥] ، يدلل على محاولة لتبرير العنف الذى ارتكبته القوات البريطانية ضد أهالى الإسكندرية .

ورسالة شيتهام لكرزون فى ٣١ أكتوبر ١٩١٩ تشير بأنه لمدة ٦ أشهر قبل هذا التاريخ لم تحدث مظاهرات كبيرة في الإسكندرية ، حتى اصطدمت سيارة إسعاف بريطانية بالمتظاهرين ، مما تسبب في وقوع إصابات . حيث بدأ الحشد الجماهيرى فى نهب المتاجر ، فأصبحت الشرطة في وضع حرج ، فتم استدعاء القوات البريطانية للمساعدة [٦٦] ، وترجعنا رسالة شيتهام لكرزون فى ٦ نوفمبر ١٩١٩لاحداث ٣١ أكتوبر لتضيف لنا بعض المعلومات الجديدة حول هذا اليوم ، بما يدل على أن التحقيقات فى الأحداث كانت تجرى على قدم وساق ، فذكر شيتهام بأنه عندما تم

تنظيم مظاهرة أخرى في الإسكندرية في ذلك اليوم ، كانت السلطات مستعدة لها ، حيث زرعت بعض أعيان المدينة كجواسيس لها في مسجد أبي العباس ، وطالبتهم بأن يفعلوا كلما في وسعهم لمنع أي اضطراب هناك ، وتواصلت سلطات الجيش مع رئيس الوزراء ، الذي كان لايزال في الإسكندرية ، وبعدما اتفقا على تصدى الشرطة ، وأن تتدخل القوات العسكرية فى حالة الطوارئ فقط ، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها أعيان الإسكندرية ، خرجت مظاهرة كبيرة بلغ عددها ٦ آلاف شخص نحو ساحة ميدان محمد علي ، وقام قائد الشرطة بتفصيل ضابط شرطة محلي للسير على رأس القوات ، وعندما وصل المتظاهرون إلى الجزء الضيق من شارع الرملة ، وبدأت القوات بتفريق الجموع ، حدثت حوادث مؤسفة ، حيث سعت سيارة إسعاف بريطانية ، يقودها سائق بريطاني تتبعها سيارة فورد ، إلى شق طريقها عبر المظاهرة ، مما تسبب في دهس المتظاهرين ومقتل شخصين وإصابة ستة أشخاص على الأقل . فاستفاد المخادعون من الموقف وأثاروا حشود المتظاهرين ، مما جعلهم يتجهون لتحطيم نوافذ المتاجر ونهب السلع المعروضة ، حيث نهبوا ١٣ متجراً ، ثم انفصل المتظاهرون وذهبوا في اتجاهات مختلفة ، لكن الجزء الأكبر منهم دخل ساحة محمد على مرة أخرى ، وبينما كانت هذه الأحداث تحدث في شارع الرملة ، وقع حادث آخر في حي الحماميل ، مشيراً لما أحدثه دخول سيارة الحدود وجنودها المحليون الثلاثة ، حيث أطلقوا حوالى ٩٠ طلقة ، فأثاروا السكان فى تلك المنطقة ، فذهب حشد كبير منهم إلى ساحة محمد علي ، فهجموا على مؤسسة موروم البريطانية للأقمشة ، وألحقوا الضرر بست مؤسسات أخرى ، وقيل إن السبب فى ذلك هو قيام بريطانى بإطلاق على الحشد قبل قيامهم بنهب مؤسسة موروم لكن اتضح أن هذه مجرد شائعات لا أساس لها من الصحة ، حيث جرح من الشرطة حوالى خمسة وأربعين ، وسقط اثنان من القتلى وستة مصابين ، محاولاً القول بأن رجال سيارة الحدود هم الذين قاموا بعملية القتل وليس الجنود البريطانيين ، ولم تقطع الرسالة القول الفصل فى المسألة ،

لهذا ذكرت أن النيابة العامة قامت بالتحقيق في حالات النهب ، وأن إدارة مقاطعة الحدود تقوم أيضًا بالتحقيق في عمل الجنود المحليين الثلاثة الذين كانوا في السيارة ، أما فيما يتعلق بحادث سيارة الإسعاف ، فقد ذكرت الوثيقة بأن بعض شهود العيان البريطانيين أقروا بأنه لايوجد عذر لعمل سائق السيارة ، وأنه قيد الاعتقال ، وأنهم بذلوا جهودًا كبيرة لتجنب الصدام بين عناصر المدينة الجامحة والقوات البريطانية ، حتى لا يؤدي إلى خسائر كبيرة في الأرواح ، فيتسبب فى تأجيج مصر كلها غير أن أحداث يوم الجمعة التى تلتها أوضحت أن السلطات المدنية لاتستطيع التعامل مع الوضع دون مساعدة القوات العسكرية ، فتم إعداد فصيلتين من القوات المصرية من السويس لمساعدة الشرطة لتساعد في حفظ النظام في حالة حدوث أعمال شغب أخرى ، الأمر الذى جعل رئيس الوزراء يصدر بيانا ينص فيه على عدم السماح بحدوث مظاهرات أخرى ، قاطعًا بأنه إذا ثبت أن هذه التدابير غير كافية ، فستتدخل القوات البريطانية في الحال [٦٧] .

ويبدو أن ما جرى فى الإسكندرية قد غير من حالة الهدوء فى بقية المناطق المصرية ، فتسببت مظاهراتها فى صناعة حالة ثورية جديدة عمت بقية المناطق . وبالنظر للرسالة المؤرخة بتاريخ٢ نوفمبر ١٩١٩ حول وقوع أحداث كثيرة ومظاهرات في صعيد مصر ودلتاها[٦٨] ، ليقطع بهذا الأمر ويؤكد عليه ، ونظرًا لعظم ما حدث في الإسكندرية نجد أن هناك رسائل كثيرة تنقل لنا عملية التحقيق البريطانية التى تمت في ملابسات مظاهرات أكتوبر ، فقد أضافت لنا رسالة شيتهام لكيرزون فى ٨ نوفمبر ١٩١٩معلومات أخرى حول ما حدث من قبل . حيث أشارت بأنهم حذروا من مزيد من الاضطرابات في الإسكندرية يوم الجمعة ٣١ أكتوبر ، وأن السلطات العسكرية تشاورت مع رئيس الوزراء ، وانتهوا إلى قرار بأنه إذا جرت مظاهرة فإن المسئولية تقع على الشرطة ولاتتدخل طالما كانت التظاهرة سلمية ، ولا يتم استخدام القوات

البريطانية إلا في حالة الضرورة ، مع اتخاذ ترتيبات خاصة لمواجهة أية حالةطوارئ ، وفى تمام الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٣١ أكتوبر استغل المتظاهرون ما حدث من سيارة الإسعاف البريطانية بتصادمها مع الحشد فى بدء النهب والتحول للعنف ، فهاجموا ثلاثة عشر متجراً ونهبوه ، وفي وقت متزامن تقريباً دخلت سيارة تابعة لإدارة المنطقة الحدودية ، وتحمل على متنها ثلاثة جنود محليين من تلك الإدارة ، لمنطقة التظاهرات ، فاطلقوا نحو ٩٠ طلقة نحو المتظاهرين فثار السكان المحليون وانضموا إلى الحشد الذى سبقهم إلى ساحة محمد علي ، وفي الثالثة مساء وقع مزيد من النهب لبعض المحلات التجارية والمقاهي ، وفى الساعة الثالثة والنصف كان الوضع ما زال فى متناول الشرطة ، لكن مع تزايد عمليات قتل الأهالى وجرحهم من قِبَّل الرصاص الذي أطلقه الضباط البريطانيون تفاقم الوضع ، وفى هذا السياق حاولت الوثيقة الصاق التهمة بالجنود المصريين ، حيث قالت إن سبب القتل والإصابات هم رجال سيارة الحدود ، وأن عدم إظهارهم لهذا السبب فى التقارير السابقة كان من جراء مقارنة التقارير العسكرية والمدنية ، وأن هؤلاء الأشخاص المعنيين هم قيد الاعتقال[٦٩] .

وتمدنا برقية كيرزون لجراى ، القنصل البريطانى فى واشنطن ، فى ١٩ نوفمبر ١٩١٩ ، بالمعلومات عن الاضطرابات الأخيرة في مصر ، خصوصاً أن ما حدث فى الإسكندرية من قتل كان له صدى عالمى . فأعلمه بأن ما نشره الوطنيون حول أحداث مسجد أبي العباسى المرسى يوم ٢٤ أكتوبر خلاصته ، هو أن الشرطة حاولت تفريق مظاهرة قام بها حشد كبير خارج المسجد ، فتم إلقاؤهم بالحجارة ، فاستغاثوا بالقوات العسكرية البريطانية فاضطروا لإطلاق النار ، وحينما قام مثيرو الشغب بإقامة متاريس في بعض الشوارع ليلة ٢٥ أكتوبر ، أصبح الوضع سيئاً للغاية ، حيث سيطر العنف على الشوارع في ربع المدينة ، وحين أضرم المتظاهرون النار في مسرح للسينما ،

وأحرقوا شاحنة ، استعانوا بالقوات العسكرية فتمت استعادة النظام . حيث بلغ مجموع الضحايا بين الشرطة سبعة وأربعين ، ومن الأهالى سبعة قتلى و ٢١ جريحًا ، وحدثت إصابات طفيفة بين القوات البريطانية (٧٠) .

وتخبرنا رسالة جراى لشيتهام بمعلومات مميزة عما حدث في ٣١ أكتوبر ، فذكر له بأنه حين وقعت مظاهرات كبيرة في الإسكندرية ، وأصيب عدد قليل من الناس بواسطة سيارة إسعاف بريطانية اصطدمت بالحشد ، حل العنف والإرهاب أنحاء المدينة . فتم نهب ثلاثة عشر محلاً ، فقام ثلاثة جنود مصريين يركبون سيارة حكومية ، بالاندفاع عبر الحشود وأخذوا يطلقون النار في الهواء ، فتسببوا فى خسائر مما زاد من أعداد المتظاهرين أكثر فى ساحات الإسكندرية وشوارعها ، فنهبوا المزيد من المتاجر والمقاهي ، وحين خرج الأمر عن متناول الشرطة استغاثوا بالقوات العسكرية للتدخل ، فخلفوا العديد من القتلى والجرحى بين السكان الأصليين ، وأنهم قاموا باعتقال الجنود المصريين . وحينما تم الهجوم في ليلة ٣ نوفمبر على الجنود البريطانيين قرب المستشفى العسكري ، فردوا على المعتدين فقتلوا الكثيرين منهم ، وحين حدثت مظاهرة فى ١٣ نوفمبر تم تفريقها من قبل الشرطة ، وأضافت بأن القوات المصرية تم استحضارها لمدينة الإسكندرية لمتابعة التظاهرات لحل الموقف بدلاً من تفاقم الأوضاع باستمرار تدخل القوات البريطانية (٧١) .

وفى نفس السياق تطلعنا رسالة شيتهام لكرزون فى ١٠ نوفمبر ١٩١٩ ، على المعلومات التى أرسلها له فى رسالة ٦ نوفمبر ١٩١٩ حول الأحداث التي وقعت في الإسكندرية في ٣١ أكتوبر ، مرسلاً له تقرير القائد العام (٧٢) . ففى هذا التقرير قدم القائد العام لمنطقة الإسكندرية ، ويفل ، معلومات جديدة حول الأحداث التي نشأت فيما يتعلق بالمظاهرة السلمية التي جرت في الإسكندرية فى ٣١ أكتوبر اعتماد على ما رفعه له الجنرال بلانكى(٧٣) . حيث أشار الجنرال بلاكى ، قائد قوات المشاه ، فى

تقريرة فى ٢ نوفمبر إلى الإجراءات المعتادة التى كانت تقوم بها القوات العسكرية البريطانية كل يوم جمعة ، فيقول بأن القوات البريطانية كانت تقوم بمسيرة عمود عبر الإسكندرية ككل ، وفى يوم ٣١ أكتوبر وابتداءً من الساعة التاسعة صباحًا ، بدأت المسيرة من القنصلية الفرنسية لتنتهى فى الميناء الشرقي بالقرب من ساحة محمد علي في الساعة العاشرة والنصف صباحًا . فتوقفت القوات في الأزاريطة بناءً على ما ذكرته قوات الشرطة فى تمام الساعة الواحدة والنصف بأن الوضع هادئ . بعدها استلم المندوب السامي إشعارًا بحدوث مظاهرة سلمية في الإسكندرية خلال النهار . فألغيت مسيرة القوات عبر الجزء الساخط من المدينة ، فصدرت الأوامر بإرسال فصيلتين إلى حصن كوم الدكة في الصباح الباكر ، وأرسلت مجموعة من عشرة أشخاص إلى مكتب السنترال ، ومجموعة من عشرين رجلاً إلى محطة القبارى . وأبقيت مجموعة أخرى مختبئة داخل المدينة ، وتم الاحتفاظ بالسيارات المصفحة والسيارات الخفيفة خلف مباني الحرس الرئيسي ، كما صدرت تعليمات إلى ضباط القيادة بالعناية بسيارات النقل الميكانيكية لتجنب الحشود في الشوارع . ونتيجة للمعلومات الواردة من الشرطة ، نُشرت أيضًا دوريتان صغيرتان في محيط قرية باكوس لعزل أي اضطرابات قد تحدث في تلك القرية . وعند الظهر ، ذكرت الشرطة أنه قد شوهدت سيارة خفيفة على الطريق من جانب الميناء الشرقي بالقرب من مسجد أبو العباس ، وأن التحقيق ذكر بأن السيارة المقصودة هى التى أرسلها الكولونيل ميلفارد Colonel Milvvard نحو رأس التين للإبلاغ عن الوضع في البلدة ، فأُعيدت السيارة من قبل الشرطة ، وحين تجمع حشد كبيرما بين ٦-٧ آلاف متظاهر في محيط مسجد أبي العباس ، ومسيرتهم باتجاه ساحة محمد علي في الساعة الواحدة والثلث ، من طلاب مدارس وعرب ومشاكسين ، وأنهم قاموا بنهب المتاجر في شارع البورصة القديمة وشارع الرملة ، فطلبت الشرطة مساعدة القوات العسكرية . وفى الساعة الثانية والنصف وصل الجنرال سكودامور . فشهد الحارس الرئيسي له بأنه شاهد سيارة

إسعاف ، مع سيارة فورد خلفها ، وأنها كانت تسير بخطى سريعة فأصابت عدداً من الغوغاء ، فكانت نقطة البداية فى عملية النهب التى جرت للمحلات . فتدخلت القوات العسكرية البريطانية . مشيراً بأنه لم يأمر بإطلاق النار خلال مسيرة الموكب نحو البورصة القديمة ، إلا أن سيارة فورد خفيفة عليها ثلاثة مصريون ، فقاموا بإطلاق النار بوحشية ، فتم اعتقالهم . وقامت القوات بعمل دوريات في جزء من المدينة وقاموا بإجراء تحقيق كامل في هذه المسألة . مشيراً بأن ما قامت به سيارة الإسعاف من قتل وإصابة لبعض المتظاهرين ، هو الذى أعطى ذريعة للعناصر العنيفة من الغوغاء لبدء كسر نوافذ المتاجر ونهبها ، حيث تسبب فى قتل خمسة قتلى وعدد من الجرحى ، وأنه يجرى الإعداد لمحاكمتهم بتهمة القتل ؛ وأن ما حدث فى سيارة الحدود لا يقل عما أحدثته سيارة الإسعاف(٧٤) . وعلى هذا كانت الموجة الثورية السكندرية في أكتوبر ١٩١٩ من أقوى الموجات وأعنفها ، فقد خلقت حضوراً ثورياً جديداً في القاهرة وبقية الأقاليم ، وصدرت صورة سيئة للحكم البريطانى في الصحافة العالمية ، وباتت المدينة مركزاً ثورياً يتفوق على القاهرة ، ويضخ دماً جديداً يسرى في شرايين ثورتها .

سادساً- قراءة الخارجية البريطانية لمظاهرات المدينة فى شهرى نوفمبر وديسمبر

من خلال ما سبق يتضح لنا بأن مظاهرات الإسكندرية فى أكتوبر ١٩١٩ كانت حاشدة ، وأنها كانت موجة جديدة من موجات الثورة ، فقد أضافت زخماً ثورياً ولد موجات جديدة فى شهرى نوفمبر وديسمبر ، وفى هذا الإطار عبرت رسالة شيتهام لكيرزون فى ٨ نوفمبر ١٩١٩ بأن ما حدث في ليلة ٣ نوفمبر ، هو أمر مختلف عما حدث فى شهر أكتوبر . فحين هوجم بعض الجنود البريطانيين في الإسكندرية قرب المستشفى العسكرى ، راحوا يطلقون النار على المعتدين ، مما تسبب في بعض الخسائر . ولهذا صدرت الأوامر من قبل رئيس الوزراء فى ٧ نوفمبر بمنع تكرار

الفوضى ، حيث أصدر إعلانًا يحرم المظاهرات من أي نوع ، ولإبعاد القوات البريطانية عن المشهد ، رتبت قوات مصرية تم إرسالها إلى الإسكندرية لمساعدة الشرطة ، واتخذت جميع الاحتياطات الضرورية الأخرى ، وهو ما ظهر فى يوم ٧ نوفمبر فى تعاملهم مع تظاهرة خرجت من مسجد أبي العباس قدرت بـ ٢٠٠٠ فرد ، فتم تفريقهم بسهولة من قبل الشرطة ، وبالمقابل قطعت الرسالة بأن مظاهرات الإسكندرية تسببت في توقف الأعمال والتصدير ، فقد أثرت بشكل كبير في حركةتصدير القطن من خلال إضراب مختلف قطاعات عمال النقل ، والتي لم يتم تسويتها بشكل مرض حتى ذلك الوقت ، فكان هناك توقف مؤقت ، لكنه خطير ، لصادرات الأسبوع الماضي ، مشيرة بإمكانية تكرار الأمر لاحقًا ، وبوجود تحريض سياسي وراء هذا الأمر ، وأن شيتهام تحدث مع غرفة التجارة البريطانية حول إمكانية اتخاذ إجراءات حكومية يمكنها التعامل مع هذا الجانب من الإضرابات[٧٥] .

ورغم أن رسالة اللنبى لكيرزون فى ١٠ نوفمبر ١٩١٩ تفيد بأن السلطان فؤاد قد ترك الإسكندرية مقره الصيفى ، وعاد إلى القاهرة فى صباح ذلك اليوم ، وانه لم يتعرض لاى حادث كما هو متوقع ، إلا أنه في وقت لاحق من ذات اليوم تجمع حشد من المشاغبين في ساحة عابدين متظاهرين ضده ، وأن الشرطة اضطرت لإطلاق النار عليهم ، فأصابوا شخصين بالرصاص ، فوقعت مظاهرات أخرى هاجم بعض حشودها مراكز الشرطة ، وأضرموا فيها النار بشكل مؤقت ، فتم استدعاء القوات البريطانية لمساعدة الشرطة ، فأطلقوا النار على تلك الحشود فتسببوا فى حدوث بعض الخسائر ، أما فى الإسكندرية نفسها فقد جرت المظاهرات فى ذات اليوم واليوم الذى سبقه ، وسقط عدد قليل من الضحايا بين السكان الأصليين يوم ٩ نوفمبر ، فى حين مرت مظاهرة يوم ١٠ نوفمبر دون حوادث[٧٦] ، ويبدو أنه بمرور الوقت قد أخذت المظاهرات في المدينة تقل شيئًا فشيئًا ، فبرقية اللنبى لكيرزون في ١٧ نوفمبر ١٩١٩ ، تشير بأن

حالة الهدوء تعم مدينة الإسكندرية [٧٧] . في حين تفيدنا برقيته ١٨ نوفمبر ١٩١٩ ، بحدوث أعمال شغب وعنف فى المدينة ، وأن القوات العسكرية قد تولت أمرها حتى فرضت الهدوء مرة أخرى[٧٨] ، وأيدتها رسالة اللنبى لكرزون فى ١٩ نوفمبر ١٩١٩ بأن متظاهرى مدينة الإسكندرية يسعون لوضع حواجز في بعض الأماكن ، وأنهم كانوا في تصادم دائم مع القوات البريطانية ، وأنه نتج عن هذه المواجهة سقوط بعض الضحايا بين المتظاهرين ، لكن بحلول الساعة الخامسة مساء عم الهدوء أنحاء المدينة[٧٩] . وجاء خطاب اللنبى لكيرزون فى ٢٢ نوفمبر ١٩١٩ ليقول بأن الإسكندرية كانت هادئة خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٢ نوفمبر ، ولا يوجد شيء إلا عدد قليل من المقالات الصحفية المحرضة[٨٠] .

ورغم أن الإدارة البريطانية قد استدعت اللورد اللنبي لأوروبا للاستماع لنصائحه ، فطلب تأجيل إرسال لجنة ملنر ، إلا أنها حينما رأت بأن الظروف مناسبة ، شرعت تستعد لإرسالها ، رغم تهديد المصريين بمقاطعتها وعدم التجاوب مع مهمتها بتوصية من سعد زغلول وأنصاره ، وكانت ذرورة تحريضهم ضد اللجنة قد ظهرت في أعمال الشغب الخطيرة التى حدثت فى الإسكندرية ، وحينما تكررت هذه الاضطرابات في السادس عشر من نوفمبر ، تدخلت القوات البريطانية لإنقاذ الموقف . لهذا قررت الإدارة البريطانية سرعة إرسال بعثة ملنر قبل أن يتفاقم الوضع أيضًا فى السودان . فالسيطرة على الأوضاع فى مصر سيجذب السودانيين للاستقرار ، خصوصًا أن عددًا كبيرًا من شخصياتهم البارزة أظهرت الولاء لبريطانيا[٨١] .

وإذا كانت الأمور على مستوى القطر المصرى تنحو منحى التهدئة ، فإن هناك مؤشرات تقول بوجود نار تحت الرماد . فرسالة القنصل البريطانى فى باريس ، فوروري ، إلى كرزون فى ١٨ نوفمبر ١٩١٩ ، والتى تقول بأنه تقابل مع المديرالسياسي لوزارة الخارجية الفرنسية بعد ظهر اليوم ، وتحدث معه حول موضوع المناهضة البريطانية

التي ذكرتها «جريدة القاهرة» ، وأنه وعده بالكف عن الحملة المناهضة لبريطانيا[٨٢] ، تدلل على وجود محاولات بريطانية لقيادة الموقف الدولى لصالحها ، غير أن رسالة اللنبى لكيرزون فى ٢٤ نوفمبر ١٩١٩ ، والتى حملت تقريرين حول الصحافة المصرية : الأول ، يغطي الفترة من ٦ إلى ١٣ نوفمبر ، والآخر يختص بالفترة من ١٤ إلى ٢٠ نوفمبر[٨٣] ، تقول بعكس ذلك ، فالملحق الذى يغطى الفترة من ٦-١٣ نوفمبر يبين بأن الصحافة المصرية لم تظهر أي تحسن فيما يتعلق بعداء المصريين لبريطانيا ولرئيس الوزراء ، وأن الصحافة الزغلولية ركزت على سلطة الرجل ، والمقال الذى نشره محمود أبو النصر في جريدة الأهرام ، وهو محام وعضو سابق في وفد باريس ، بأن المصريين مستعدون للتفاوض مع بريطانيا إذا كان البريطانيون راغبين في إلغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال السياسي الكامل للبلاد ، مشيراً لمقالين آخرين يدللان على فشل مايعتبره المتطرفون تكتيكات تخريبية ، وفرتها مقالة الشيخ محمد شاكر ضد حسين رشدي باشا ، ومقالة إسماعيل باشا أباظة المنشورتان فى جريدتى «مصر» و«الأصدقاء» . فتقول الأولى بأن حسين رشدى فضل تصرفات سعد زغلول وزملائه في المراحل الأولى من الاحتجاجات ، وأنهم كانوا متعاطفين مع هجوم الشيخ شاكر ضده فيما بعد ، فى حين يصنف إسماعيل أباظة بأنه الكاتب الأكثر دهاء في مصر ، حيث أظهرت مقالته تحدياً لتفوق سعد زغلول . وراحت المقطم» تثني على أفكار الباشا التي استهزأ بها المتطرفون ، وأبرزت أوراق سعد زغلول فى جريدة «الوطن» بأن أفكاره حول الاحتجاجات إنما هى جزء من حركة -نادي الأعيان- الفاشلة في ربيع ١٩١٩ ، وأن هناك ارتباطاً بين محمد إبراهيم هلال وشهاب الدين بك والشريعي باشا من «نادي النبلاء» ، ومعهم الكاتب القبطي ، إسكندر تادرس . لكن وصف الصحافة بشكل عام بأنها كانت مواتية للحكومة ، وأن فى إمكانها وقف الصحافة المتطرفة ، يقول بأنها سمحت بأن يقوم سينوت بك حنا بمهاجمة رئيس الوزراء بقسوة ، لكن حدث تعاطف من قبل الصحافة العالمية مع اضطرابات الإسكندرية ، ظهرت آثارها

فى تعليقات الصحف الأوروبية المحلية ، بل إن الصحافة الإنجليزية داخل الإسكندرية أبرزت الاستياء من لجنة ملنر ؛ لهذا تم التركيز على اقتراح إسماعيل باشا أباظة بأن يقوم ثروت باشا ، نائب رئيس اللجنة المصرية ، باستدعاء زملائه في الجمعية التشريعية ، لاتخاذ قرار رسمي بشأن موقف المصريين من لجنة ملنر . لكن لم يكن هناك أى تحمس لهذا المقترح ، أما الصحافة المصرية فقد دعت للاحتفال بالذكرى السنوية للقاء السير ريجينالد وينجيت وزغلول باشا فى ١٨ نوفمبر ١٩١٨ . وأبرزت ملخصًات لمقالات مسئولين أوروبيين فى جريدة التايمز والجازيت وغيرها ، وظهر فى جريدة الأفكار مقالان مهمان فيهما مقارنة بين مصر خلال فترة الثورة بما كانت عليه فى السابق ، وكيف كانت تعطى التعليمات لأثينا ، وكيف أنقذت أوروبا من الخراب الفكري ، وأن المصريين هم الأجدر بين الأجناس الحديثة ، وحول لقاء اللنبى بمحمود بك أبو النصر وغيره من القوميين فى إبريل الماضي ، وأنه كان لطرح التعاون والثقة بين الطرفين . وقرارهم بعدم قبول أي شيء سوى الاستقلال الكامل وانسحاب بريطانيا العظمى من وادي النيل ، يدلل على ثبات الموقف المصرى فى هذا الامر . «مقال جريدة القاهرة» يشير إلى عدم شعبية النظام البريطاني في مصر ، حيث تم مهاجمة مشروعات السودان للري . بل اقترح عقد اجتماع للمهندسين المصريين لدراسة هذه المشروعات التي تم تصميمها كمكافأة للسودانيين على قبولهم للحماية البريطانية . وأن تنفيذ هذه المشروعات يشكل تهديداً خطيراً لمصر ، فى حين ظهر مقال بريطانى يوصى المصريين المعتدلين بالتعاون مع الإنجليز الليبراليين ، وتأسيس بنك وشركات تجارية أخرى(٨٤) .

أما الملحق الذى يضم الفترة من ١٤ إلى ٢٠ نوفمبر ١٩١٩ ، فيشير بأنه كانت هناك ١١ جريدة رسمية باللغة الإنجليزية فى الإسكندرية ، وهناك البريد المصري فى القاهرة ، وكانت كل هذه الصحف تعبر عن الرأى الرسمى ، وتصيغ تعليقاتها حول

السياسة المحلية بعبارات معتدلة . وبالتالى كانت رد فعلها مفيد لما هو منشور عبر الجريدة المصرية ، والتى كانت رغم أنها إنجليزية إلا أن تأسيسها في الإسكندرية ، جعلها تميل للتعبير عن وجهات نظر الأقسام التجارية وغير الرسمية ، وتتجاهل وجهة نظر المسؤولين البريطانيين ، أما الصحافة الفرنسية فى مصر فكانت تتجنب الهجوم المباشر على سياسة بريطانيا العامة فى مصر أو سيطرتهم عليها . واحتلت جريدة البورصة المصرية فى القاهرة والإسكندرية نفس مكانة البريد المصري أو الأنجلوفيل ، وكلاهما كان معتدلا ومخلص للادارة البريطانية ، أما الصحافة الايطالية مثل المسيجورو Messaggoro فى الإسكندرية وروما فى القاهرة ، فكانت تهتم بالشئون المحلية الثورية ، وعلى صراع الأجانب بعضهم البعض ، غير أن تعليقاتها فى الشؤون المحلية غير مؤذية . وكانت هناك صحافة يونانية فى الإسكندرية وأخرى فى القاهرة ، وكانت جرائدهم فى الإسكندرية تتمتع بالحياد . لكنها أدانت أعمال الشغب الأخيرة في الإسكندرية ، وشنت حملة ضد ما ذكرته صحيفة الأفكار والمحروسة بخصوص عدم سلامة موقف القوات البريطانية فى التصدى لمظاهرات الإسكندرية ، فاعتبرتهما صحافة تحريضية ضد القوات ، ودافعت عن السياسة البريطانية ، مؤيدة وصول لجنة ملنر . فى حين ركزت الصحافة المحلية على الوطنيين المصريين بأن يتجنبوا كل العلاقات والمفاوضات مع أية سلطة بريطانية ، وعلى أخبار الاضطرابات الجديدة في الإسكندرية ، وأنها كانت أكثر عنفًا في النغمة ، وفى المطالبة بحق تقرير المصير مسرورة باستقالة رئيس الوزراء محمد باشا سعيد ، داعية لمقاطعة لجنة ملنر بشكل مطلق ، ورغم ذهاب اثنين من المحررين المصريين لزيارة مكتب الصحافة ، طالبين العفو عن مقالاتهم العنيفة التي تم نشرها عن غير قصد ، على حد تعبيرهم ، إلا أن بقاء صحفيين آخرين معارضين للسياسة البريطانية ومشجعين لمقاطعة لجنة ملنر ، قد جعل الصحف المحلية تشن هجومًا على أعمال رى السودان ، وتصفها بأنها موجهة ضد مصر (٨٥) .

والمذكرة التى وضعت حول الاضطرابات في المدارس المصرية ، بما فيها مدارس الإسكندرية ، تشير بأن الاضطرابات التي حدثت في ربيع عام ١٩١٩ ، هى التى جعلت الحكومة تصدر إعلان ٤ مايو ١٩١٩ ، والذي قضى بضرورة عودة جميع الطلاب والتلاميذ إلى مدارسهم بحلول ٧ مايو ١٩١٩ ، وأن من يتأخر عن هذا التاريخ سيتم رفض قبوله في امتحانات الدبلوم والترقية ، وفي ١١ أغسطس ١٩١٩ صدر قرار من مجلس الوزراء للتعامل مع أولئك الذين تم استبعادهم من الامتحانات بموجب إعلان ٤ مايو ١٩١٩ (٨٦) . ورغم ذلك لم تكن هناك استجابة للكل تلك القرارات ، لهذا تأخذنا وثائق الخارجية البريطانية فى منحى جديد للعنف ، فخطاب اللنبى لكيرزون فى ٢٤ نوفمبر ١٩١٩ يشير بأنه في مساء ٢٢ نوفمبر قد تم إطلاق النار على النقيب البريطانى «كوهين» قرب مستشفى شبرا ، وأنه توفي لاحقًا ، وأنه في مساء يوم ٢٣ نوفمبر أطلقت أربع طلقات على خمسة جنود بريطانيين بالقرب من معهد السكك الحديدية في القاهرة(٨٧) . واستغلت الإدارة البريطانية الفرصة لتهدئة الموقف ، بمحاولة فرضها عبر المدارس المصرية أولاً ، وفى هذا الإطار يحيل خطاب اللنبى لكيرزون فى ٢٤ نوفمبر ١٩١٩مذكرة مستشار وزارة التعليم العام ، باترسون ، حول الخطوات التي تم اتخاذها هذا العام للسيطرة على الطلاب ، والأسباب التي أدت لإصدار مرسوم ١٩ نوفمبر ١٩١٩ ، لإعادة فتح جميع المدارس في ٢٢ نوفمبر ، وأن المتخلفين عن الحضور سيتم فصلهم ، وأن بعض طلاب المدارس ردوا على هذا المرسوم بأن أعلنوا التمرد الجماعي وعدم الحضور ، وأن بعضهم حضر إلى المدارس ثم تظاهر حولها ، مشيراً بأنه حتى يوم ٢٤ نوفمبر حدثت زيادة طفيفة في الحاضرين ، لكن قطاعًا كبيراً منهم قد حضروا فقط بغرض خلق اضطرابات ، ومنع الآخرين من دخول المدارس(٨٨) ، وملحق الوثيقة السابقة يشير بأنه بموجب قانون الأحكام العرفية يجب أن يكون جميع طلاب الكليات والمدارس التابعة للحكومة حاضرين عند افتتاح كلياتهم أو مدارسهم يوم السبت ٢٢ نوفمبر ، وأن أي طالب سيغيب بدون إذن أو عذر

مبرر في ذلك التاريخ سيتم استبعاده من أي امتحان قد يعقد في ديسمبر أو يناير القادم ، شريطة أن يحصل الطالب على شهادة بحسن سلوكه وحضوره المنتظم خلال الفترة من ٢٢ نوفمبر وحتى تاريخ الامتحان ، موقعة من مدير الكلية أو المدرسة التي كان يوجد بها ، وأن الامتحان سوف يُعقد للطلاب الذين يلتزمون بهذا الإخطار من جميع النواحي ، وسيتم فصل الطلاب المخالفين(٨٩) .

ويبدو أن كل تلك المحاولات للتهدئة لم تجد نفعًا فى الإسكندرية ، حيث تخبرنا رسالة اللنبى لكيرزون فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ ، بأنه فى الوقت الذى لم تحدث فيه اضطرابات في القاهرة يوم ١٨ نوفمبر وما بعده ، حدثت مظاهرات بالإسكندرية ، وأن هذه المظاهرات قد أحدثت تصادم بين الجنود ومثيري الشغب ، حيث سعى الغوغاء للتحكم فى الشوارع وإقامة الحواجز ، وعندما أراد الجنود إزالتها لم يستطيعوا ، فأجبروا على إطلاق النار ، مماتسبب في سقوط العديد من الضحايا ، وبعدها أصدر القائد العام لإقليم الإسكندرية أمرًا يقضي بأن يبقى جميع السكان في منازلهم بحلول التاسعة مساء ، وتم إغلاق جميع المقاهي وأماكن التسلية في تلك الساعة ، وتم تخفيف هذا الأمر فيما بعد ، وحينما استمر طلاب القاهرة فى تنفيذ أوامر العودة لمدارسهم ، تم القبض على إبراهيم باشا سعيد وعبدالرحمن فهمي ، باعتبارهما مسئولين عن كثير مما يحدث ، وأيضًا تم القبض على اثنين آخرين من المحرضين هما علي بك ماهر ، نائب رئيس محكمة أسيوط ، ومحمد عاطف بك بركات ، مدير كلية الحقوق بالقاهرة ، وابن شقيق سعد زغلول ، وكان هذان الرجلان من بين القادة الرئيسيين المسئولين عن إضراب الموظفين الحكوميين في إبريل ١٩١٩ ، وكذا تم اعتقال اثنين من علماء جامعة الأزهر ، هما الشيخ محمود أبو العيون والشيخ مصطفى الغاياتى بسبب إصرارهما على إلقاء الخطب التحريضية في الجامعة ، مشيراً بأن نبرة الصحف قد أصبحت أقل عنفًا . مفسراً الحوادث التى جرت ضد الضباط والجنود

الإنجليز فى القاهرة كانت ذات طابع سياسي ، خاتمًا بأنه إذا كان الوضع فى القاهرة قد مال إلى الهدوء ، إلا أن التدابير المتخذة في الإسكندرية قد آتت تأثيرها المطلوب . حيث كانت الخشية من إثارة العداء ضد بعثة ملنر عند وصولها . خصوصًا وأن مقاطعة اللجنة سيلتزم بها كل المصريين[٩٠] ، وملحق الوثيقة السابقة يشير بأن اللنبى قد أصدر أمرًا حذر فيه من المظاهرات ، وجميع أعمال التحريض أو تعريض الأمن العام للخطر ، وأن كل ذلك يشكل جرائم عقوبتها الاعتقال والمحاكمة أمام محكمة عسكرية ، أو غرامة قدرها ٢٢ جنيهًا إسترلينيًا [٩١] .

ورغم أن خطاب اللنبى لكيرزون فى ٢٦ نوفمبر ١٩١٩ يشير بأنه تم الإبلاغ عن حادثتي إطلاق نار في القاهرة قرب جسر بولاق ، وبالقرب من العباسية [٩٢] ، وأنه خطابه فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ يتحدث عن مقتل جنديين بريطانيين وفتاة يونانية قرب حي التوفيقية بالقاهرة [٩٣] ، إلا أن رسالة إيرل ديربي لكرزون فى ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ ، تشير بأن اللورد ملنر قد تحدث عن مهمته فى مصر عبر صحيفة «الإنسانية» ، مشيراً بأن الشعب المصري لايمكن أن يتوقع من مهمته أكثر من وضع دستورخاص بمصر يساعد فى استمرار المساعدة والمشورة البريطانية . قائلا برغبة البعض فى السيطرة على الأوضاع فى مصر عبر العنف ، وأن اعتراض المصريين على اللجنة ، قد جاء لكون أعضائها بريطانيين بالكامل ، وبالتالي لايمكن اعتبارها محايدة [٩٤] .

والمدهش فى مظاهرات الإسكندرية أنها ظلت متدفقة ومتأججة حتى نهاية شهر ديسمبر ١٩١٩ ، وخطاب كيرزون للنبى فى ٢ ديسمبر١٩١٩ ، حول الدور الذى قامت به الشرطة المصرية والقوات المصرية في الاضطرابات الأخيرة ، وأنه يريد تقريراً كاملا حول هذا الدور ، وما يمكن أن يجنوه من وراء قيمة عملهم[٩٥] ، ما هى إلا محاولة لقراءة ما حدث مرة تلو المرة في مشهد الإسكندرية ، وفى نفس السياق تشير رسالة اللنبى لكيرزون فى ١٥ ديسمبر ١٩١٩ بإنقادة الشرطة في كل من القاهرة

والإسكندرية كانوا يتحدثون بشكل كبير عن سلوك رجالهم في الاضطرابات الأخيرة ، وأنهم قاموا بواجباتهم بشكل جيد ، لكن تركيز الوثائق بأن موقف الجنود البريطانيين كان صعبًا عندما تمت دعوتهم للمساعدة في قمع التظاهرات ، بحكم التعاطف الذى حدث بين الغوغاء والضباط والجنود المصريين ، وأن سلوك الجنود المصريين كان جيداً بشكل عام(٩٦) ، يدلل على أن ما حدث في ثورة ١٩١٩ من تعاطف للجنود والضباط المصريين مع أهاليهم إنما هو جزء من المشهد العام ، حيث تكرر هذا التعاطف في مناطق الصعيد والدلتا والقاهرة ، وبالتالى لم تكن الإسكندرية بدعًا بين المدن المصرية فى تعاطف قواتها المحلية مع تظاهرات المدينة وحركتها الثورية . وفى النهاية يمكن القول بأن مظاهرات الإسكندرية ظلت متأججة ترصدها الوثائق البريطانية بعناوين مستقلة حتى قبل نهاية سنة ١٩١٩ بأربعة أيام . وفى هذا السياق تشير رسالة اللنبى لكيرزون فى ٢٧ ديسمبر ١٩١٩بأنه تم إلقاء الخطب الملتهبة في مسجد أبي العباس يوم الجمعة ٢٦ ديسمبر ، وبعد ذلك تم تشكيل مظاهرة معادية . فتم الهجوم على سيارتين مدرعتين تم إرسالهما لمساعدة الشرطة ، وتم إطلاق بعض الطلقات النارية ، وأن الجنود البريطانيين ردوا من جانبهم بإطلاق النار ، فقتلوا أحد المتظاهرين وأصابوا خمسة من مثيري الشغب ، وتم تفريق الغوغاء حسب قولها ، ولعل ختام الوثيقة بأن بعد هذا الحادث المحلى قد استأنفت الإسكندريةهدوءها المعتاد ، وأن الوضع العام فى المدينة قد أصبح أكثر هدوءاً(٩٧) ، يدلل على أن مظاهرات المدينة ظلت متدفقة ، وأنها بدأت تقل شيئًا فشيئًا بحلول نهاية العام ، وأن التوصيفات البريطانية لثوار الإسكندرية ، كمثيرى الشغب والغوغاء وغيرها ، لا تدلل على أن الثوار كانوا كذلك ، بل كان هذا إطاراً عامًا وظفته الإدارة البريطانية عبر الصحافة العالمية لكسب الأصوات الدولية الرافضة لحمايتها على مصر ، وأن تلك التوصيفات لم تتغير فى بقية الأقاليم ، فقد استخدمتها فى وصف ثوار القاهرة والدلتا والصعيد ، وكأن كل من يرفع راية التحرر والاستقلال ضدها إنما هو من الغوغاء ومثيرى الشغب .

لكن مجمل القول فى مظاهرات الإسكندرية خلال ثورة ١٩١٩ بأنها كانت مقلقة للإدارة الاستعمارية ، وشكلت مأزقًا كبيرًا لها فى سبل معالجتها ، فقد رصدت الوثائق البريطانية بطولات كبيرة قدمها الشعب السكندرى فداء لوطنه ، وسجلت له صفحات مضيئة فى حركة الاستقلال ورفض الاستعمار البريطانى .

وفي النهاية فإن الدراسة قد خلصت إلى عدد من النتائج :

* بينت الدراسة بأن مدينة الإسكندرية كانت حاضرة في المشهد الثورى منذ فكرته الأولى التى قدمها الأمير عمر طوسون وعدد من أعيانها ، وأن مظاهراتها منذ أن انطلقت في ١٢ مارس ١٩١٩ لم تتوقف طيلة ذلك العام ، وأن فترات هدوئها اقتصرت على شهر يونيو ويوليو فقط ، وباعتبارها مصيفًا للملك والحكومة فإن معاركها السياسية والفكرية ظلت مستمرة دون انقطاع .

* أوضحت الدراسة قيمة وثائق الخارجية البريطانية فى رصد التاريخ الجهوى والإقليمى للدولة المصرية فى عهد الاحتلال البريطانى ، وأن تاريخ الثورة فى احدى المدن المصرية إنما هو يختزل تاريخًا عامًا للشعب المصرى ككل ، وأن العقلية الجمعية لهذا الشعب تحركه باتجاه هدف واحد وان توزع عبر مدن وأقاليم مختلفة ، وأن وتيرة المظاهرات فى الإسكندرية قد أخذت من القاهرة دفقتها الأولى ، لكنها شكلت فى ذات الوقت محركًا جديداً لموجات متتابعة من المد الثورى لبقية المدن ، وأن مظاهرات أكتوبر ونوفمبر ١٩١٩ كانت خير دليل على هذا المد .

* نقلت لنا الدراسة أحاديث متناثرة لوثائق الخارجية حول فشل القوات البريطانية فى التعامل مع مظاهرات الإسكندرية ، وقالت بأنه كلما كانت القوات البريطانية تسعى لتفريق مظاهراتها ، سرعان ما كانت تعود من جديد ، وأنهم حين استخدموا العنف فى مظاهرات إكتوبر ١٩١٩ وقتلوا من الأهالي عدداً من الأفراد ، رد عليهم الأهالي بنهب المحلات الأجنبية وإحراق الشاحنات وسيطرة تامة على الشواع

والحارات ، وربما كان رصد وثائق الخارجية لتخوف الإدارة البريطانية من انتقال شغب الإسكندرية واضطراباتها فى شهر نوفمبر ١٩١٩ إلى بقية المدن المصرية ، بالصورة التى كان عليها ، والمتمثلة فى عمليات النهب التى كان يقوم بها البعض ، كان هذا يشكل قلقًا كبيرًا لتلك الإدارة ومأزقا لا تعرف كيفية الخلاص منه ، حيث ظلت التقارير تتحدث عن الخطب الملتهبة الصادرة عن مساجد الإسكندرية عقب صلاة الجمعة ، خصوصًا مسجد أبي العباس المرسى ، وما يعقبها من مظاهرات ، وتدخلات للشرطة وإصابات ، وبالتالى ظل الأمر محيرًا ومزعجًا ، وأنه فى الوقت الذى كانت القاهرة تعود فيه للهدوء ، ظل الوضع فى الإسكندرية خارج السيطرة .

* أوضحت الدراسة بأن التاريخ الجهوى لمدينة مصرية ،كالإسكندرية ، إنما هو جزء من التاريخ العام لمصر كلها ، وأنه مرتبط بظروف محلية خاصة خلال فترة ثورتها ، وبظروف إقليمية ودولية مرتبطة بالمنطقة المحيطة وعالم ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وباعتبارها مركزًا مهمًا للجاليات الأجنبية ، وكونها العاصمة الصيفية لها ، وأهم ميناء من موانيها ، وأوجدت لها خصوصية فى الفعل الثورى ورد الفعل . فاستحقت لها مكانًا خاصًا فى الأرشيف البريطانى ، وزاوية مهمة من زوايا وثائق الخارجية البريطانية وعناوينها ، رصدت تاريخها البطولى وتجليات شعبها فى مواجهة الاستعمار البريطانى ورفض بقائه .

الهوامش

(١) رفيق صلاح محمد السيد : قصرا الأمير عمر طوسون الباقيان في الإسكندرية . . دراسة اَثارية معمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ١ .

(٢) ناصرة عبدالمتجلى إبراهيم : الإسكندرية في العصر العثمانى . . الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ١٠ .

(٣) حسام محمد عبدالمعطى : تصدير الغلال وأثره على الأوضاع داخل المدينة ١٧٧٠-١٨٠٥ ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ٤٩ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ص ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٤) ناصرة عبد المتجلى إبراهيم : المرجع السابق ، ٢٠١٣ ، ص ١١ .

(٥) فتحى محمد أبوعيانة : نمو سكان الإسكندرية في القرن التاسع عشر . . دراسة في الديمغرافية التاريخية ، ، دراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عمر عبدالعزيز ، الجزء الثانى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية٢٠٠٦ ، ص ص ١٣٠٦-١٣٠٨ ، ١٣١٠ .

(٦) احمد حسن الكنانى : عمران الإسكندرية في عهد الخديو اسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩ ، دراسات تاريخية مهداة للاستاذ الدكتور عمر عبدالعزيز ، الجزء الثانى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية٢٠٠٦ ، ص ص ١٢٨١-١٢٩١ ، ١٢٩٦ .

(٧) عباس محمود العقاد : سعد زغلول زعيم الثورة ، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ص ص ٧ ، ٨ .

(٨) رفعت السعيد : ثورة ١٩١٩ . .القوى الاجتماعية ودورها محاولة لرؤية جديدة ، سسلسلة مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ص ١٩ ، ٢٠

(٩) جينادى جاريا تشكين : الإسكندرية بين روسيا ومصر ، دراسات تاريخية مهداة للأستاذ الدكتور عمر عبدالعزيز ، الجزء الثانى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية٢٠٠٦ ، ص ص ٦٢٦ ، ٦٢٧ .

(١٠) عبدالرحمن الرافعى : ثورة ١٩١٩ تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ص ٦٧-١١٠ ؛ وانظر حسين مؤنس : دراسات في ثورة ١٩١٩ ، سلسلة ذاكرة الكتابة ، عدد ٢١٠ ، الهيئة العامة لفصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٨ ، ص ص١٣٧ وما بعدها .

(11) Goldberg:- Peasants in Revolt - Egypt 1919, International Journal of Middle East Studies, Vol. 24, No. 2 (May, 1992), p. 267..

(١٢) عمر طوسون (٨ سبتمبر ١٨٧٢- ٢ يناير ١٩٤٤) هو الأمير محمد عمر طوسون ابن الأمير محمد طوسون باشا ابن والي مصر محمد سعيد باشا ابن محمد علي باشا رأس الدولة العلوية . والدته الأميرة بهشت حور وليس كما يشاع أنها الأميرة فاطمة بنت الخديو إسماعيل وكانت زوجة والده ،

وجدته لأبيه الأميرة ملك بير . ولد في الإسكندرية وعاش فيها إلى جانب القاهرة .
https://www.kutubpdfbook.com/author/674-%D8%B9%D9%85%D8

(١٣) مكى الطيب شبيكة : بريطانيا وثورة ١٩١٩ المصرية ، سلسلة ذاكرة الكتابة ، عدد ٢٠٩ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٨ ، ص ص ١١ ، ١٢ .

(١٤) الأمير عمر طوسون : مذكرة بما صدر عنا منذ فجر الحركة الوطنية لمصرية من ١٩١٨-١٩٢٨ ، مطبعة العدل ، الإسكندرية ، ١٩٤٢ ، ص ٤ .

(١٥) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(١٦) مكى الطيب شبيكة : المرجع السابق ، ٢٠١٨ ، ص ٣٥ .

(١٧) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ص ٢٣٩-٣٦٨ ، وانظر أيضًا ، تهانى محمد شوقى عبدالرحمن : أسيوط في ثورة ١٩١٩ ، مجلة كلية التربية ، مج ٢ ، عدد ١١ ، جامعة اسيوط ، يونيو ١٩٩٥ ، ص ص ١١٣٧-١١٦٢ .

(١٨) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٤١

(١٩) مكى الطيب شبيكة : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

(20) F.O.407-184:-, No.128. Allenby to Earl Gurzon , 1 April 1919,p.103.

(٢١) عبدالرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ص ٢٣٩-٢٤١

(٢٢) مكى الطيب شبيكة : المرجع السابق ، ٢٠١٨ .

(23) F.O.407-185:- No. 81.Field-Marshal Sir E. Allenby to Earl Curzon, Ramleh,July 31 july 1919.p.78.

(24)F.O.407-185:- Enclosure in No. 81. Fetwa. (Translation.), p.78-80 ,

(٢٥) رفعت السعيد : المرجع السابق ، ص ١٦٢

(26) F.O.407-185:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXXII, July to December 1919, No. ١٥ .Admiralty to Foreign Office, Admiralty, August 6, 1919, p.70.

(27) F.O.407-185:- Enclosure in No. 65. Gun-running.p.70 ,

(28) F.O.407-185:- No. 72.Sir G. Grahame to Sir R. Graham.),Received August 12 Secret and Private.), Paris, August 11, 1919..p.73 ,.

(29) F.O.407-185:- Enclosure in No. 72. Proposition from M. Abdon-Boisson.73,74 ,.

(30) F.O.407-185:- No. 87. Mr, Lindsay to Earl Curzon, Washington, August 19, 1919, p.82 ,

(31)F.O.407-185:- No. 90 Field-Marshal Sir E. Allenby to Earl Curzon, Ramleh, August 9, 1919 pp.83,84 ,

(٣٢) وهو يشغل الآن مبنى الإذاعة والتليفزيون بالإسكندرية ومبنى كلية التمريض ومبنى كلية الفنون الجميلة . للمزيد انظر ، رفيق صلاح محمد السيد : المرجع السابق ، ص أ .

(٣٣) الأمير عمر طوسون : المذكرة السابقة ، ١٩٤٢ ، ص ٦ .

(34) F.O.407-185:- No. 92. Field-Marshal Sir E. Allenby to Earl Gurzon, Bamlehy August II, 1919 p.87

(35)F.O.407-185:- Enclosure in No. 92. Mr. Hayter to Field-Marshal Sir E.A llenby. A boukir Flying School pp.87-89 ,.

(36)F.O.407-185:- No. 189. Air Ministry to Foreign Office, Air Ministry, September 27, 1919, p.174 ,

(37)F.O.407-185:- No. 218. Earl Curzon to Sir M. Cheetham (Cairo).(No. 553.) Sir, Foreign Office, October 13, 1919, p.204 ,

(38)F.O.407-185:- No. 343. Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon,Cairo, November 25, 1919, P.292 ,

(39)F.O.407-185:- No. 381. Air Ministry to Foreign Office., Air Ministry, December 12, 1919,P.314 ,

(40)F.O.407-185:- No. 396.Foreign Office to Air Ministry, Foreign Office, December 16, 1919.,P.333 ,

(٤١) الامير عمر طوسون : المذكرة السابقة ، ١٩٤٢ ، ص ص ٤٦-٤٩ .

(42) F.O.407-185:- No. 329. Speech by Earl Curzon of Kedleston in the House of Lords, November 25, 1919. , Pp.279-281 ,.

(43)F.O.407-185:- No. 116. Sir R. Wingate to Earl Gurzon, Knockenhair, Dunbar, August 31, 1919 pp.103,104 ,

(44)F.O.407-185:- No. 123. Field-Marshal Sir E. Allenby to Earl Curzon, Ramleh, August 21, 1919, pp.106,107 ,

(45)F.O.407-185:- No. 152. Sir M. Cheetham to Earl Gurzon, Ramleh, September 16, 1919, pp.145 ,

(46)F.O.407-185:- No. 155.Field-Marshal Sir E. Allenhy to Earl Curzon, Rarnleh, August 31, 1919, p.146 ,

(47)F.O.407-185:- Enclosure in No. 155. Memorandum respecting Bolshevistic Propaganda in Egypt.(Confidential.) August 28, 1919, p.147 ,

(48)F.O.407-185:- Report concerning the Spread of Bolshevistic Ideas in Egypt. (1), pp.147,148 ,

(49)F.O.407-185:- copy of the bye-rules of the Syndicat des Employes de Bureau. (2), p.148 ,

(50)F.O.407-185:- No. 174. Sir M. Cheetham to Earl Curzon, Ramleh, September 11, 1919,pp.163,164 ,.

(51)F.O.407-185:- No. 178. Sir M. Cheetham to Earl Curzon,Cairo, September 25, 1919,,p.165 ,

(52)F.O.407-185:- No. 180. Sir M. Cheetkam to Earl Curzon.Ramleh, September 26, 1919,p.166 ,

(53)F.O.407-185:- No. 242. Sir M. Cheetham to Earl Curzon, Ramleh, October 13, 1919, pp.223,224.

(54)F.O.407-185:- Enclosure 1 in No. 242. Translation of an Article by Sinnot Hanna Bey, published in the ıMisr ıon the roth October, 1919 pp,224-227 ,

(55)F.O.407-185:- Enclosure 2 in No. 242. Article from the ıEl Ahaly ıof October 8, 1919 pp,227,228

(56)F.O.407-185:- Enclosure in No. 253.Report from G.S.I., General Headquarters, Egyptian Expeditionary Force, dated October 9, 1919,.pp.233,236 ,.

(57)F.O.407-185:-No. No. 247.Sir M. Cheetham to Earl Curzon.)،Received October 26.)Cairo, October 26, 1919,.pp.231 ,.

(58)F.O.407-185:- No. 253.Sir M. Cheetham to Earl Curzon.Ramhh, October 16, 1919.,.p.235 ,

(59)F.O.407-185:- NO..254.Sir M.Gheetham to Earl Gurzon,Rarnleh, October 16, 1919.Pp,236,237 ,.

(60)F.O.407-185:- Enclosure in No. 254.Translation of Pamphlet circulated in Egypt when the Mission was believed to be imminent..Pp,237,238 ,.

(61)F.O.407-185:- NO..254.Sir M.Gheetham to Earl Gurzon,Rarnleh, October 16, 1919.Pp,236,237 ,

(62)F.O.407-185:- Future Correspondence Respecting Egypt and Sudan Part LXXXII, July to December 1919, No. 245.Sir M. Gheetham to Earl Curzon,Cairo. October 24, 1919.p.231 ,

(63)F.O.407-185:-No. 246.Sir M. Gheetham to Earl Curzon.)،Received October 25.)Cairo, October 25, 1919..p.231 ,.

(64)F.O.407-185:- No. 301.Earl Ourzon to Viscount Grey (Washington).Foreign Office, November 19, 1919, P.263 ,.

(65)F.O.407-185:- No. 274. Sir M. Cheetham to Earl Curzon, Cairo, October 30, 1919.,Pp.247,248 ,

(66)F.O.407-185:- No. 255. Sir M. Cheetham to Earl Curzon,Cairo, October 31, 1919.P,238 ,

(67)F.O.407-185:- No. 314.Sir M. Cheetham to Earl Curzon, Cairo, November 6, 1919, Pp.270,271 ,

(68)F.O.407-185:- No. 257. Sir M. Cheetham to Earl Curzon.Cairo, November 2,

1919,P.239 ,

(69)F.O.407-185:- No. 275. Sir M. Gheetham to Earl Gnrzon,Cairo, November 8, 1919.,pP.248,249 ,

(70)F.O.407-185:- No. 301.Earl Ourzon to Viscount Grey (Washington).Foreign Office, November 19, 1919, P.263

(71)F.O.407-185:- No. 301.Earl Ourzon to Viscount Grey (Washington).Foreign Office, November 19, 1919, P.263

(72)F.O.407-185:- No. 315.Sir M. Cheetham to Earl Curzon, Cairo, November 10, 1919, P.271 ,

(73)F.O.407-185:- Enclosure 1 in No. 315. General Officer Commanding-in-Chief Egyptian Expeditionary Force to Field-Marshal Viscount Allenby, P.272 ,.

(74)F.O.407-185:- Enclosure 2 in No. 315. Report, W. P. BLAKE, Brigadier-General, Commanding 29th Infantry Brigade. Headquarters 10th Division, 29(/ & Infantry Brigade^ Mustapha, November 2, 1919. , Pp.272,273 ,.

(75)F.O.407-185:- No. 275. Sir M. Gheetham to Earl Gnrzon,Cairo, November 8, 1919.,P.249

(76)F.O.407-185:- No. 293.Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon. Cairo, November 10, 1919,PP.,257,258 ,

(77)F.O.407-185:- No. 295.Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon. Cairo, November 17, 1919,P.258 ,

(78)F.O.407-185:- No. 2 98.Field-Marshal Viscount Allcnby lo Earl Curzun, Cairo November 18, 1919, P.261 ,

(79)F.O.407-185:- No. 306.Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon, Cairo, November 19, 1919, P.265 ,

(80)F.O.407-185:- No. 319. Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon, Cairo, November 22,1919 , P.276 ,

(81)F.O.407-185:- No. 329. Speech by Earl Curzon of Kedleston in the House of Lords, November 25, 1919,Pp.282-284 ,.

(82)F.O.407-185:- No. 304.The Earl of Derlv/ to Fori Curzon, Paris, November 18, 1919, P.264 ,

(83)F.O.407-185:- No. 387. Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon, Cairo, November 24, 1919. P.321 ,

(84)F.O.407-185:- Enclosure 1 in No. 387. Note on Egyptian Press by Lieutenant-Colonel G. S. Symes. Pp..321-323 ,.

(85)F.O.407-185Enclosure 2 in No. 387. Note on Egyptian Press by Lieut.-Colonel G. S. Symes.(No 6 ⁒Period from 14th to 20th November, 1919.). Pp.323-326 ,.

(86)F.O.407-185:- Enclosure 2 in No. 386. Memorandum on the Unrest in Egyptian Schools, 1919. Pp.320,321 ,

(87)F.O.407-185:- No. 326. Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon. Cairo, November 24, 1919 , P.279 ,

(88)F.O.407-185:- No. 386. Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon, Cairo, November 24, 1919 P.319 ,.

(89)F.O.407-185:- Enclosure 1 in No. 386. Notice under Martial Law. Pp.319,320 ,.

(90)F.O.407-185:- No. 39. Field-Marshal Viscount Allenhy to Earl Gurzon, Cairo, Novpmber 27, 1919, Pp330,331

(91)F.O.407-185:- Enclosure in No. 391. Proclamation ,Pp.331,332 ,

(92)F.O.407-185:- No. 333. Field-Marshal Viscount Alenby to Earl Carzon.. Cairo,, November 26, 1919. , P.286 ,

(93)F.O.407-185:- No. 337. Field Marshal Viscount Allenby to Earl Gurzon, Cairo, November 27, 1919, P.288 ,

(94)F.O.407-185:- No. 349. The Earl of Derby to Earl Curzon, November 27, 1919, P.294 ,

(95)F.O.407-185:- No. 350. Earl Curzon to Field-Marshal Viscount Allenby,Foreign Office, December 2,1919,P.294

(96)F.O.407-185:- No. 392. Field Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon, Cairo, December 15, 1919 P.332 ,

(97)F.O.407-185:- No. 433. Field-Marshal Viscount Allenby to Earl Curzon,Cairo, December 27, 1919,P.390,